

المقطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع بعد المائة

٤ رمضان سنة ١٣٦٥

١ أغسطس سنة ١٩٤٦

المرأة

في ظل الديموقراطية

— ١ —

المرأة عامل من أعظم العوامل المؤثرة في بناء المدينة الحديثة. ولم تكن المرأة في العصور القديمة أقل أثراً منها في العصور المتأخرة. فالقبائل البدائية، وبخاصة تلك التي اتخذت عادات البدو في الارتحال من مكان الى مكان، والجماعات التي عاشت بالصيد، والعشائر التي اتخذت من صلاحها وعضلاتها وسيلة للعيش والحياة والضرب في مناكب الأرض، كل هؤلاء يدينون للمرأة بكثير من أمور دنياهم.

شاركت المرأة الرجل منذ أقدم العصور في العمل، وأخذت بضمع في كل ما يتعلق بالحياة القبلية وحياة الأسرة، وكانت من العوامل الأولية في انتشار جماعات الانسان في بقاع من الأرض، لولا فضلها في العمل، وتديرها شئون الأسرة، لتعذر على الرجل وحده أن يدبّ فيها أو يكشف عنها. وكانت للرجل ولا شك سلاحاً من أمضى أسلحته، ودرعاً من أقوى دروعه، وحافزاً من أوّلى حوافزه، وكفاها أن تكون أول من أنشأ فلاحه الأرض، وأول من اكتشف كيف تنبت الحبة فتثمر في أزمان دورية. فكان هذا بداية الحضارة الزراعية في العالم القديم، وأساسها الأول في العالم الحديث. ولا ريبه في أن

اكتشاف النار ، ووضع أصول الزراعة ، سبيان لولاهما لما نشأت المدنيات التي استقرت أول ما استقرت ، على شواطئ الأنهار العظمى .

قال ولز يصف حال الجماعات الاولى :

«على أن أكثر العمل المعني الذي كانت تحتاج اليه الجماعة كان من نصيب النساء . فإن الرجل البدائي لم يكن يفهم للشهامة ولا للنخوة او النجدة معنى . فكانت الجماعة اذا عزمت على الانتقال من مكان زلت فيه ، حمل النساء والشابات كل ما يوجد من المتاع ، ومشى الرجال بغير شيء الا أسلحتهم ، وهم على استعداد لدفع الطوارئ ، ولا شك في أن العناية بالأطفال ايضاً كانت من نصيب النساء » .

ثم قال : « كانت هذه الحال سبباً في أن يذهب البعض الى القول بأن النساء كنّ أول من بدأ في فلاح الأرض . وهذا المذهب لا تنقصه المبررات الكثيرة . فإن جمع الحبوب ومواد الأكل الخضرية كانت من عمل النساء ، لأن الرجال كانوا يخرجون دائماً في جولاتهم الطويلة للصيد والقتل . ولا يبعد أن يكون النساء هنّ اللاتي لاحظن أن الحبوب تنمو في الأماكن التي كانت من قبل غنياً لجماعات أخر ، يكونون قد بذروا الحبوب على وجه الأرض قرباً لآله من الآلهة عسى أن يعوض عليهم ما بذروا أضعافاً تعدد بالمئات . وعلى هذا لا شك في أن أول طور من الأطوار التي تدرجت فيها الزراعة ، كانت عبارة عن استلاب محصول بذرة الغير . فإن الجماعات التي كانت لا تزال في طور « الرعاة » يرجح أن يكونوا قد زرعوا ، ليحصدوا اذا انقلبوا راجعين الى مكانهم الأول » .

ولقد تابعت المرأة خطى التطور الذي لازم الرجل في جهاده الشاق نحو الكمال والمدنية . فاذا كان الرجل قد ضحى بالكثير من جهده العضلي والعقلي في بناء دعام الحضارة وتوثيق روابط المجتمع ، والكشف عن أسرار المجهولات فقد ضحيت المرأة بمجهود نفسي ، وأسرفت في الاتفاق من روحها وعواطفها وانفعالاتها ، ما قد يتضاءل أمامه ما أنفق الرجل من جهد العمل والانتاج . واذا كان التاريخ على ما يقول « هيني » ليس سوى الأطوار الخلقة التي خلقها الروح الانساني على مرّ العصور ، فإن في ثنايا تلك الأطوار من روح المرأة قدراً يساوي ما فيها من روح الرجل ، إن لم يكن أكثر ، اذا لم نخش المبالغة .

ولقد عانت المرأة من عنف الرجل طوال أحقاب لا يحصىها العدّ ، ما لو استطعنا أن نقدره ، لفاق جهدها في ذلك وحده ، كل ما تقدر للرجل من جهد العمل على إقامة دعائم المدنية والحضارة . فلو لم تخصصها الطبيعة بتلك الخواص النفسية الفذة ، وذلك الإدراك العميق لمختلف نزوات الرجل ، وتلك القدرة العجيبة على اختيار مواقف الكرّ حيث يجدي ، والفرّ حيث يفيد ، والإقدام حيث يكون الإقدام نصراً ، والدفاع حيث يكون الإقدام هزيمة ، مدفوعة الى ذلك بغريزة فيها تدفعها الى حفظ ذلك النوع الذي يطلق عليه الاحيائيون اسم « الانسان العاقل » ^(١) اصطلاحاً ، لظل ذلك الكائن البدائي في جحوره المظلمة ، وكهوفه المرطوبة ، وغاباته الموحشة ، حيواناً لا يفرقه عن بقية الحيوان غير انتصاب القامة .

ذلك بأن الطبيعة قد وجهت غريزة الرجل الى العمل للحاضر وحده ، ولكنها خصت المرأة بغريزة العمل للمستقبل . تحمل وتلد وترضع وتربي وتعلم ، وتحارب نزوات الرجل بالضعف إذا صلح ، وبالقوة إذا حزب الأمر ، موجهة كل ذلك الجهد الى الاحتفاظ بشيئين : الأسرة والولد . الأسرة للحاضر ، والولد للمستقبل . وليس لها من كل ذلك غنماً ولا ربحاً . ومن ثمّ كان لها تلك الغرائز النبيلة السامية .

لم يصلنا من تاريخ المرأة الاجتماعي في العصر المصري القديم شيئاً يتيح لنا البحث في شؤونها بحيث نحدد مكانتها في ذلك المجتمع تحديداً يرضي التاريخ الصحيح . ولكن يكفي أن نعرف انها بلغت من المكانة في ذلك المجتمع ما لم نر له مثيلاً في الحضارتين اليونانية والرومانية . فقد بلغت في مصر القديمة رتبة الملك ، وكفى بذلك دليلاً على انها بلغت في مصر ، وفي فجر التاريخ البشري ، منزلة السلطة العليا في دولة استبدادية ، لا أثر لديموقراطية فيها . ولم تبلغ في الحضارة اليونانية من الأثر العملي ما بلغت في الحضارة الرومانية . ومن أعجب حقائق التاريخ ، أن تتبوأ المرأة أعلا مدارج المجتمع في حكومة استبدادية كحكومة مصر القديمة ، وتتوارى من أفق المجتمع كلية في بلاد اليونان ، التي ورثنا عنها النظم

الديموقراطية الحديثة . ولا شك في أنها كانت ذات أثر بالغ في حياة الرومان ، حتى لقد وجهت سياسة الدولة في عصر أوغسطس ، أول قياصرة الرومان ، زمناً خصّ بأنه شهد نشأة الامبراطوريات العظمى في العالم .

وهكذا كان للمرأة أثر بيّن في تاريخ الانسان في عصور همجيته وفي عصور تميّدها ، وسوف يكون لها في المستقبل أثراً أعظم ، وتاريخاً أروع وأخلد .

لما سقطت الدولة الرومانية ، وحطّمها الهمج الذين هبطوا أوروبا من فجاج آسيا ، وورث أوروبا عنهم نظام القطاعات ، انكفأت المرأة بغريزتها راجعة الى تلك الحدود التي لزمها خلال عصور الهمجية الأولى ، ونزلت عن تلك المسكنة السامية التي تربعت على عرشها في بعض المدنيات القديمة . ولقد ظلت المرأة على هذه الحال حتى كانت العصور الحديثة ، فأخذت في أوروبا شيئاً من مكانتها التي بلغت في مصر القديمة ، إذ تربعت على عرش الملك ، ورنّ صوتها الفرد في فجاج التاريخ مرة أخرى .

عندما أدركت أوروبا الثورة الصناعية ، ولقّتها مبادئ الحرية الديمقراطية ، وماهت المرأة الرجل في التعليم ، تطلّعت الى حقوقها السياسية ، وأخذت تعمل جاهدة في سبيل تحقيقها لتكمل بذلك ذاتيتها . فلئن كانت المرأة قد حققت ذاتها وأثبتت وجودها في ميادين كثيرة كالأمومة والزوجية والأسرة والجهاد والحرب والمُلك ، فإنها ولا شك تجنح اليوم الى ان تكمل ذاتيتها بأن يكون لها في ميدان السياسة والاجتماع والعمل ، تلك الحقوق التي حرمتها خلال العصور الغابرة . تلك الحقوق التي لا ينكرها الشرع ولا تأبأها الطبيعة .

ان الكلام في حقوق المرأة حديث جديد في المدنية الأوروبية . فبعد ان سقطت المرأة عن عرشها المتواضع الذي تربعت من فوقه في العصر الروماني ، غشت عليها غشاوة القرون الوسطى ، فقبعت راضية ، حتى أدركتها العصور الحديثة ، فهبت من غفوتها تطالب بحقوقها السياسية ، تلك الحقوق التي بلغت في روسيا السوفيتية ، ولأول مرة في تاريخ الدنيا ، مبلغ الحرية التي صاوت فيها الرجل مساواة تامة . أما بداية جهادها في سبيل ذلك ، فيرجع الى ما

فبيل الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، إذ بدأت تحتل مشكلتها العالمية مكاناً في آداب الأمم الغربية .

غير أن جهاد المرأة في ذلك العصر كان جهاداً صليبيّاً ، دليلنا عليه أن كثيراً من نابهي الكتاب والفلاسفة قد خصوها فيما كتبوا ببحوث وإشارات عبرت عن أن في جو المجتمع مشكلة هي مشكلة المرأة ، ومسألة معقدة هي مسألة الشطر الآخر من الجمعية البشرية .

ومن أعجب العجب أن « جان جاك روسو » ، على كثرة ما أشاد في كتابيه « العقد الاجتماعي » و « أميل » الذي كتبه في أصول التربية ، واستمسك بهما بنظرية أن الحرية حق طبيعي للإنسان ، لم يذكر أن للمرأة حقّاً يقال له « الحق السياسي » . وجاراه في ذلك بقية الكتاب الذين نحوا نحوه واتبعوا مذهبه . ذلك في حين أن مذهب هؤلاء جميعاً هو أن الحق السياسي حق طبيعي لا يسقط عن الإنسان ولا يسلب منه حتى ولو تعاقد هو على حرمان نفسه منه ، بل قالوا أن التصويت حقّ عام لكل أفراد الجمعية ، وأنه جزء متمم للحرية فلا يسلب ولا يتنازل عنه أو يحرم منه فرداً من الأفراد ، ذلك بأن الحرية شيء طبيعي ، وكذلك تكون متعلقاتها وتوابعها .

أليس عجيباً أن أولئك الذين يقولون بتلك الحرية الواسعة ويقدرسونها ، ويتزولونها هذه المنزلة ، التي لا شك في أنها صحيحة من كل وجه ، هم بأنفسهم الذين يعضون في بحوثهم قائلين بأن يظل نصف الراشدين من مجموع الأمة عطلاً من هذه الحقوق ، وأن يحرم النصف الآخر من التمتع بها ، فيطغى على حقهم فيها ، فلا يجعل لهم نصيباً من الاشراف على التشريعات التي تتعلق بأموالهم وأحوالهم الشخصية ، بل هي قد تنصب على كل أقدارهم في هذه الحياة الانسانية ؟

لقد كتب « روسو » عن المرأة وفصل الفوارق التي تفصلها عن الرجل . ولكن لم ينزل كاتب من كتّاب القرن الثامن عشر الى ذلك الدرك الذي انحدر فيه « روسو » إذ قال : « خلقت المرأة لتكون ملهة للرجل » . غير أنه عقب على ذلك بقوله :

« ينبغي أن يكون تعليمهم متصلاً بحاجات الرجل ، فتكون له تسلية وفائدة ، وموضعاً لحبه واحترامه ، وتربي أولاده صغاراً ، وتعني بهم كباراً ، وتبذل لهم النصيح ، وتنهئهم

بالعطف حتى تصبح حياتهم هادئة مريحة . كانت هذه الأشياء خلال كل العصور واجبات المرأة ، ومن أجل هذه الواجبات ، يجب أن تتعلم المرأة من الصغر .

• بل ان « روسو » قد ذهب في تقييد المرأة إلى أبعد من ذلك . ذهب إلى وجوب تقييدها دينياً ، فلم يجعل لها حق اختيار العقيدة التي تتصل من طريقها ببنائها ، وقضى بوجوب ان لا يكون لها دين غير دين زوجها ، فهي مقيدة به محصورة في حدوده . شأنه في ذلك شأن « فلوطرخوس » في العصر الروماني ، وقد قضى كلاهما بأن على المرأة أيضاً أن تعمل على غرس بذور دينها ، الذي هو دين زوجها ، في عقل بناتها ، وإلا فإنها تكون قد قصرت في أداء واجب من أقدس الواجبات . قال :

« حتى ولو كان ذلك الدين زوراً محضاً ، فإن طواغية المرأة وبناتها ، وخضوعهن لذلك الشرع الطبيعي ، تكون عند الله وسيلة لغفران الخطيئات . ومن أجل ان النساء غير قادرات على ان يحكمن على الأشياء حكماً ذاتياً ، فعليه أن يخضعن لأحكام آبائهن وأزواجهن خضوعهن لحكم الكنيسة » .

لم يشذ عن هذه الطريقة التي اتبعها كل كتّاب الثورة الفرنسية غير الفيلسوف « كوندورسيه » ، فقد ظهر في بعض كتابات ظهرت له سنة ١٧٨٧ ، وتكاد تكون من منسيات ما كتب ، إلى القول بأنه من المستحيل أن تستقر حقوق الانسان على قاعدة ثابتة ، ما لم يُعترف بهذه الحقوق للمرأة ، وإن كل الأسباب التي أدت إلى الاعتقاد بأن لكل رجل الحق في أن يكون له صوت مسموع في حكم بلاده ، هي الأسباب التي تحملنا على إضفاء هذه الحقوق على النساء . قال :

« وعلى الأقل للواتي هن أرامل أو غير متزوجات » .

ولو لم يقيّد « كوندورسيه » رأيه بذلك القيد الذي هو أثر من آثار الفكرة السائدة في عصره ، إذاً لكان أول رائد دافع عن حقوق المرأة في العصر الحديث .

ولا ريب أن موقف كتّاب فرنسا من المرأة في ذلك العصر كان فذاً غريباً ، إذا تذكرنا « ماريّا تريزا » والملكة « كآرين » في روسيا ، والمكانة العليا التي شغلتها كل منهما في سياسة بلادها خاصة وسياسة أوروبا عامة . أضف إلى ذلك المنزلة السامية التي احتلتها نساء موهوبات

في الاجتماع والادب والبحوث العقلية وفي الحياة السياسية ، منذ انقضاء عصر لويس الرابع عشر . ناهيك بما كان للمرأة من موضع في إلهاب روح الثورة في فرنسا ، وما كان لها من نصحية فيها . وأية نصحية أعظم وأنبل من نصحية مدام « رولان » و « شارلوت كورداي » وأولاهما من الموهوبات في السياسة والادب ، والثانية من القديسات . كانت الأولى من أعضاء حزب « الجيروندي » المبرزين فيه ، وكانت الثانية من المضحيات اللواتي تذكرهن فرنسا الى جانب « جان دارك » ، وقد سقطتا على المقصلة مع رجال من أبرز رجال العصر .

ناهيك بما عليه كثير من المؤرخين الذين يعتقدون انه ما من كاتب استطاع أن يزن حوادث ذلك العصر بميزان أدق أو عقلية أرحب أو أفق أوسع من مدام « ده ستايل » . كذلك نعلم ان انساناً ما من الذين حاصروا الثورة ، لم يستطع أن يلهم بمواقفه نيران الحقد والغضب استمساكاً بوجهة من النظر السياسي ، فكان أعنف وأصبر على مكاره ذلك الموقف النكد من الملكة « ماري انطوانيت » ، وهي بشهادة الجميع من أكثر اللواتي سقطن على المقصلة استنارة فكر واستقامة رأي وثبات جنان .

قيل إن نابليون قابل ذات يوم أرملة « كوندورسيه » وكانت من زعيمات الثورة فخاطبها محنداً وفي نبراته نغمة الأمر الذي لا ينتظر ممن يخاطب جواباً : مدام — إني لا أحب أن تتمحك المرأة في السياسة — فأجابته على الفور : لك الحق أيها الجنرال . ولكن من الطبيعي في بلد تحترق فيه رعوس النساء ، أن يكون لهن الحق في أن يسألن عن السبب في ذلك !

ولا يجدر بنا أن نغفل في هذا المقام عن ذكر ما كان للمرأة من أثر في عصر النهضة في أوروبا . ولنضرب لذلك مثلاً بما كان لتعليمهن من أثر في حياة ذلك العصر .

وأول ما نذكر منهن ، بل أول من نتخذ منهن مثلاً يحتذى وقدوة يتأسى بها « كاترينا سفورزا » (١٤٦٢ — ١٥٠٩) فقد نشئت بعناية جدتها الدوقة « بيانكا ماريا فسكونتي » . وكانت « بيانكا » من مشهورات أهل زمانها . ففي كل المعارك التي اشتبك فيها زوجها « فرنسيسكو سفورزا » كانت مساعده الاول ونصيحه الامين ، بل كانت في بعض الأحيان قائداً مقدماً مرناً ، فقادت الجيوش في حومة الوغى وانحدرت بهم الى المعامع تناضل لفضال الثمرات . وكانت الى جانب هذا عبودة الجماهير لظاهرة ذيلها وعفتها وحدها

على المظلومين والضعفاء ، وحنوها على الذين أخنى عليهم الظلم ، وفعل بهم الاستبداد . كانت حمامة السلام ورسول الشفقة ويد الرحمة ، كلما استعرت نيران البغضاء واستيقظت روح العداء ، وفشت الأخطاء وعمت التعاسة . وهذه الصفات علمت « كاترينا سفورزا » الحكم كيف يكون .

تلقت « كاترينا » من التعليم قسطاً وافراً ، على النهج الذي اتبع في ذلك العصر . وكانت التقاليد القديمة قد أخذت تنهار قبيل عصرها ، وتحل محلها تقاليد جديدة . فان نساء العصر الأول — أي عصر ما قبل النهضة — كنَّ محجوبات عن الاشتراك في معضلات الحياة العامة ، والأخذ بقسط في معالجة مشا كل العصر ، على كثرة ما كان فيه من مشكلات . فكان من حظ « كاترينا » أن يقضى قبل عصرها على هذا التقليد ، فيأخذ النساء بطلع وافر من الاشتغال بعمئون السياسة والحرب ، وتدير أمور الدويلات والاحتكام في زرع يسير من الظروف التي عدلت وجه التاريخ الحديث .

بلغت العناية بأمر الثقافة النسوية في عصر « كاترينا سفورزا » أعظم مبالغها . فان سيدات ذلك العصر ، على ما يقول ثقات المؤرخين ، قد تلقين من العلم ومن أصاليب التربية والتمشئة ما قد يندر أن يتهياً لمئيلتين من بنات عصرنا هذا . فقد برزن في الآداب القديمة وفي اللغتين اليونانية واللاتينية ، قراءة وكتابة وتفقهاً ، كما أعطين قسطاً وافياً من العلم بأداب عصرهن ، في بلادهن وفي غيرها من البلاد ، وثقفن في الفن والعلم والموسيقى والرفص وركوب الخيل والألعاب الرياضية .

ومن مشهورات ذلك العصر « سيسيليا جونزاجا » و « إبولينا سفورزا » عمة كاترينا سفورزا ، وبعد ذلك بسنين قلائل اشتهرت « إيزابلا دسطة » و « إيزابتا جونزاجا » ، وكل منهن مثال يحتذى في الثقافة الواسعة والقدرة الشاملة والعبقرية الكاملة . فقد نعلم ان « إبولينا سفورزا » وكانت في الثانية عشرة من عمرها ، قد ألقت خطبة من تأليفها باللغة اللاتينية ، ترحيباً بالبابا « بيوس الثاني » عند ما حلّ ضيفاً على أبيها . وفوق ان « سيسيليا جونزاجا » كانت تكتب اللغتين ، اليونانية واللاتينية ، وتقرؤها وهي في الثامنة .

(البقية في آخر باب المكتبة)

نور الدين الشهيد^(١)

أيها السادة : ان كنتم قد سلكتم الى هذه القاعة ، طريق العسرونية قادمين من هنا ، أو على قبر صلاح الدين آتين من هناك ، أو مررتم على مدرسة التجارة ، أو جزتم سوق الخياطين ، فاعلموا أن في هذه المسالك التي سلكتموها ، والدروب التي جزتموها ، لأحداث خالداً من مسيرة الرجل الخالد الذي أقبلتم هذه العشية لسماع حديث عنه ، نور الدنيا ونور الدين .

ففي دار الحديث في العسرونية ، في جدرانها القائمة التي تحدت من أعاليها القرون الطوال، وفي ماضيها الفخم الرائع ، وفي مدرسة التجارة ، تلك التي كانت فيما مضى البيمارستان النوري أعني المستشفى العظيم والمدرسة الطبية الكبرى التي أنشأها نور الدين يوم كان الغرب يتيه في أودية الظلام ، وعلى قبر صلاح الدين خليفة ابن زنكي ، وعلى ذلك الحدث المحفوف بالهبة والجلال ، المائل في سوق الخياطين الذي يحدث وهو صامت حديث النبل والمفاداة والإصلاح والنصر المؤزر والبطولة النادرة والعبقرية والخلود ، في كل ذلك يا صادة محاضرات هي أبلغ وأجل مما أنا محاضركم به ، محاضرات كلما مر الزمان وتقادم العهد ازدادت عظماً وجلالاً لا يبلي جدتها التكرار . ولا يذهب بهاءها كثر الأعصار .

فيم أيها السادة تكون عظمة الرجال ؟ إن كانت في مموت المواهب ونبل الخصال ، أو كانت في عظم الآثار وجلال الأعمال ، أو كانت في فضائل النفس ونفاضة الخلال ؟ فان نور الدين عظيم في مواهبه السامية ، وخصاله وآثاره الباقية وأعماله ، وفضائل نفسه ونفاضة خلاله ، عظيم في السلم وفي الحرب ، عظيم في العلم وفي العمل ، عظيم في تواضعه ورفعته ، هو من طراز قل أن حظيت بمثاله أمم الأرض ، هو أحد الخمسة الذين لم تملك مثلهم أمة غير المسلمين ، ولم يملك المسلمون مثلهم . أبو بكر ، وعمر ، وابن عبد العزيز . ونور الدين ، وصلاح الدين ، رضي الله عنهم أجمعين .

(١) ألفت في دار المجمع العلمي العربي بدمشق

أصله — ولد نور الدين سنة إحدى عشرة وخمسةائة للهجرة من أصل تركي ، وهو ابن زنكي آق سنقر ، وكان جده آق سنقر هذا ، مملوكاً تركياً للملكشاه الساجوق ، أحد سلاطين الدولة السلجوقية العظام ، حظي بثقله فأصبح من أمرائه المقربين إليه . ومن خواصه الأثريين عنده ، واعتمد عليه ملكشاه في مهماته وزاد قدره علواً إلى أن صار يخافه ويتقيه ، فولاه مدينة حلب وأعمالها وحماه ومنبج واللاذقية ، وأراد بذلك أن يبعده عنه ويأمنه . قال ابن الأثير : ومن الدليل على علو مرتبته تلقبه بلقب قسيم الدولة وكانت الألقاب حينئذ مصونة لا تعطى إلا المستحقين . ولم يكن ابنه عماد الدين زنكي أبو نور الدين ، بأقل منه ذكاءً وعلو همةً وشجاعةً وطموحاً . ويكفيه خيراً أنه مؤسس الدولة الأتابكية ومن الأمراء المشهورين بالحزم والاستقامة ، وكان ذا يد طويلة في محاربة الصليبيين والثبات أمامهم ودحرجهم في كثير من الميادين ، وقد اشتهر بصفات كريمة كالعدل بين الرعية والوفاء بالرحمة والشفقة وبعد النظر في سياسة الملك ووفرة الذكاء والهيبة وحب الخير والصدقات . هذا إلى جانب همته وطموحه ومعرفته قدر الرجال وحبّه للإصلاح وشجاعته وإقدامه في الحروب وساحات الجهاد ، ولقد تسلم زمام الحكم والأمر فوضى ، وبلاد الشام نهب مقسم بين عدّة من الأمراء يتحاربون ويتقاتلون لينال أحدهم من الآخر قطعة من الأرض يضمها إلى ملكه الصغير ، بينما كان الصليبيون يفتكون بالناس . ويفتحون المدن الإسلامية ويدمرونها ويذيقون أهلها أنواع العسف والجور والبلاء والعذاب ، فاستطاع زنكي بعقله الكبير ودهائه وحسن تدبيره أن ينقلب من أمير صغير للموصل إلى ملك يحكم قسماً كبيراً من سورية الشمالية وينشئ جبهة منيعة أمام الصليبيين وأن يهاجمهم ويردهم عن كثير من المدن التي استولوا عليها ، ولولا همته وإخلاصه لكان من الممكن أن يحتاج الصليبيون سورية كلها ويثبتوا فيها وينتقلوا منها إلى البلاد الإسلامية الأخرى . ولقد كان من حسن حظ الإسلام أن يخلف زنكياً ، بطل عظيم وملك كبير هو نور الدين الذي كانت سيرته وما تزال نبراساً يهتدي به المخلصون .

منشؤه — نشأ نور الدين في حجر أبيه وفي كنفه ، كما ينشأ أقرانه ولداته أبناء الأمراء فتعلم القرآن الكريم وحفظه ، وأتقن قواعد الفروسيّة والرمي ، وتلقى العلوم على مشهوري علماء عصره ، وقرأ تاريخ الأمم الإسلامية وسير أبطالها الخالدين ، وكان ذا ذكاء وافر ، وجلد على الدرس والتحصيل ، راغباً في معالي الأمور حازفاً عن وضعها وصفسافها ، وكان يحضر مجالس أبيه ويصغي إلى ما يدور فيها من توجيه سياسة الدولة ويبدى فيها آراء صائبة يسر بها أبوه وتقر به عينه ، وكان أبوه ذا عناية خاصة به ، يظلمه على ما خفي عليه من أمور

الحكم ويبين له أقوم الطرق فيه ، ويدبره عليه ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جبر أخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه وجمع جنوده وركب من ساعته الى حلب فلما كبر واستقر فيها ، وفي سابع يوم من استقراره فيها بلغه أن ييمونت صاحب انطاكية خرج قاصداً حلب ، وأغار على ضواحيها وهاث فيها فساداً وكان الناس آمنين ، فقتل وسبي خلقاً عظيماً فأرسل اليه نور الدين جيشاً غلبه ودحره واستنقذ كثيراً من الأسرى ، وهاجم بعض بلاد الصليبيين واستولى عليها ، ولا ريب أن دفاع نور الدين هذا ، في اليوم السابع من توليته ، دلنا على بعدهمته ، وقوة عزيمته ، وإخلاصه في رفع شأن مملكته ورد من تحدته نفسه بالنيل منها .

ولقد قضى حياته كلها وهو في حروب دائمة مع الصليبيين ، كان النصر حليفاً له في أكثرها وأخافهم وطردهم من أكثر المدن الإسلامية التي استولوا عليها ، ولا يسمح لنا الوقت يا سادتي بذكر كل وقائعه ووصف بلائه الحسن فيها لأن ذلك يحتاج الى مجلدات ضخام ولكنني ذاكر لكم بعضها لتعرفوا مقدار شجاعته وقوة نضاله .

أشهر وقائعه — من أشهر وقائعه وقعة « آنب » التي كانت في صفر عام ٥٤٤ إذ حشد فيها الصليبيون حشداً كبيراً ، فذهب اليهم نور الدين في ستة آلاف فارس وقائهم قتال الأبطال وهزمهم وصرع أميرهم البرنس وهو أبو ييمونت الذي سبق ذكره وكان مشهوراً بشدة البأس وقوة الحيل وكثرة السطوة وبغضه الشديد للمسلمين فقطع نور الدين رأسه وغنم غنائم عظيمة وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في هذه الواقعة على حداثة سنه ما تعجب منه الناس واستطاع نور الدين في واقعة أخرى أن يأسر جوصلين Jocelyn الذي كان من شياطين الصليبيين وأبطالهم وأكثرهم عداوة للمسلمين ، وكان أسره من أعظم النعم على المسلمين ، وأصيب الصليبيون بفقده — كما يقول العماد الكاتب — وعظمت المصيبة عليهم به وخلت بلادهم من حاميتها وحافظها .

ومن أعظم وقائعه افتتاح دمشق والاستيلاء عليها ، وقد استولى على حارم وبانياس بعد معارك هائلة أبلى فيها أحسن البلاء وافتتح حصون الفرنج الشمالية واحداً بعد واحد . ومن أعظم وقائعه فتح مصر أيضاً بعد حروب شداد . إذ أن جيوش الصليبيين هاجموا مصر وحاصروا القاهرة فدافع المصريون عنها دفاعاً مجيداً بعد أن رأوا ظلم الصليبيين وقتلهم الناس ومسيبهم النساء . ثم صالحهم شاور صاحب مصر على مليون دينار خوفاً من نور الدين ، وكان خليفة مصر العاضد قد أرسل في هذه الاثناء الى نور الدين يستغيث به ويطلب منه النجدة وأرسل اليه في الكتب شعور النساء وقال له هذه شعور نسائي يستغيثن

بك فأرسل إليه نور الدين جيشاً جراراً غلب الصليبيين وقتل شاور واستولى على البلاد المصرية .

شجاعته — ولقد كان نور الدين في كل وقائعه وحروبه بطلاً مغواراً وفارساً مقداماً ، لا يعرف الجبن ولا الهلعة يقول عنه العماد الكاتب : كان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب ، يقدم أصحابه ويتعرض للشهادة وكان يسأل الله تعالى أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير ويقول عنه ابن كثير : كان أصبر الناس في الحرب وأحسنهم مكيدة لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه . وقال نور الدين عن نفسه : إذا كان معي ألف فارس فلا أبالي بهم — أي بالأعداء — قلوأ أو كثروأ ، والله لا أستظل بمجدار حتى آخذ بنأر الاسلام ونأري . وقال عن نفسه أيضاً : قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك ، ولو كان في خير ولي عند الله قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية . ولقد حدث في إحدى الوقائع أن تجمع الأعداء وزحفوا على المسلمين والتقى الجمعان ففضل بعض جنود الطليعة واندفعوا وتفرقوا بعد الاجتماع وانقضوا عن نور الدين فبقي ثابتاً في الميدان مع عدد يسير من الشجعان وأطلقوا على العدو السهام فقتلوا منه عدداً كثيراً فولى الأعداء منهزمين خوفاً من كين يظهر عليهم من جيش المسلمين ، ونجا نور الدين وعاد إلى مخيمه سالماً . وما يدل على شجاعته وجرأته أن مخاضة في دجلة اعترضته في إحدى حروبه فاستسهل خوضها ، قال راوي القصة : سار أمامنا دليل تركاني وهو يقطع دجلة ونحن وراءه كخييط واحد لا نميل يميناً ولا يساراً حتى اجتزنا الماء برحالتنا وأثقالنا وخيلنا وبغالنا وجمالنا ، فاستعظم أهل تلك البلاد عملنا وما خطر ببالهم أنا نعبز بغير مراكب فتكلموا في المصالحة .

ولقد كان نور الدين محبباً للجهاد في سبيل الله والندود عن بيضة الاسلام وإنقاذ المسلمين من شر الحملات الصليبية المتدفقة كالسيل ، وقد نذر حياته للجهاد والدفاع عن الاسلام وبلاده . نزل مرة بجسر الخشب وأرسل إلى أمير تلك البلدة يقول : انني ما قصدت بنزول هذا المكان طلباً لمحاربتكم وإنما دعاني إلى هذا الأسر كثرة شكاية المسلمين من أهل حوران والعربان بأن الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم بيد الأفرنج وعدم الناصر لهم ، ولا يسعني مع ما أعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصره المسلمين وجهاد الصليبيين وكثرة المال والرجال أن أقعد عنهم ولا أنتصر لهم مع معرفتي عجزكم عن حفظ أموالكم . وسار مرة إلى الموصل فأرسل له أميرها يقول : إن هذه البلاد للسلطان ولا سبيل لك إليها . فأجاب الرسول قائلاً : قل لصاحبك إنك قد ملكت النصف من بلاد الاسلام وأهملت الثغور وبليت أنا وحملي بأهجع الناس الأفرنج فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم

فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه إذ يجب علي القيام بحفظ ما أمهلت من بلاد الاسلام وإزالة الظلم عن المسلمين . وعاد من الموصل الى الشام بعد عشرين يوماً فسئل عن سبب إسرعه في العود فقال : يمنعني أنني هناك لا أكون رابطاً للعدو وملازماً للجهاد . وجرى في مجلسه مرة ذكر طيب دمشق ورقة هوائها وجمال أزهارها فقال : إن حب الجهاد يسليني عنها فما أرغب فيها .

إيمانه الصادق — وكان يجاهد بعزيمة لا تعرف النصب ، وهمة لا تدري معنى الراحة وإيمان راسخ واعتقاد بالله متين ، وكان يستعين كثيراً بهذا الايمان في جهاده ويعد السبب الأول في النصر والغلبة . يروي عنه العمد الكاتب انه لما التقى الجمعان في موقعة حارم ، انفردت تحت التل ومسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال : يارب ، هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك ، فانصر أولياءك على أعدائك ، إيش فضول محمود — اسم نور الدين — في الوسط ؟ وقال أيضاً : اللهم انصر دينك ولا تنصر محموداً ، من هو محمود الكلب حتى ينصر ؟ وقد نصر في تلك الموقعة نصراً مؤزرًا بجيش صغير . إذ أن جيشه كان في ذلك الوقت يهاجم مصر .

وأصيب أخوه نصر الدين مرة بسهم أذهب إحدى عينيه ، فلما رآه نور الدين قال له : لو كشف لك عن الأجر الذي أعد لك لتمنيت أن تذهب الأخرى . وقرأ عليه مرة جزء من حديث كانت له به رواية ، وذلك حين نزل الصليبيون على دمياط في مصر ، فجاء في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه بعض طلبة الحديث أن يبتسم لتتم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث ، فغضب من ذلك وقال : إني لأستحي من الله تعالى أن يراني متبسماً والمسلمون محاصرون بالقرنج . وقال له أصحابه مرة إن لك في بلادك إدارات كثيرة وأوقافاً وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والمتعبدين ، فلو استغنت بها لكان أمثل فغضب وقال : إني والله لأرجو بأولئك النصر ، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم في فراشي بسهم لا تخطيء ، وأصرفها إلى من يقاتل عني إذا رأي بسهم قد تخطيء وقد نصيب ؟ ثم هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال أصرفه اليهم ، كيف أعطيهم غيرهم ؟ فسكتوا .

ورعه وعبادته وتحننه — ويظهر إيمان نور الدين في كثرة تعبدته وتحننه ، فقد كان يصلي كثيراً من الليل ، وكان من عادته أنه كان ينزل إلى المسجد بغلس ، ولا يزال يركع فيه حتى يصلي الصبح . قال أبو الفتح الاشتهري : بلغنا بأخبار التواتر عن جماعة يعتمد على قولهم أنه كان أكثر الليالي يصلي ويناجي ربه مقبلاً بوجهه عليه ويؤدي الملوأ الحس في أوقاتها بتمام

شرائطها وأركانها وركوعها وسجودها . وقال عبد الله نوري — وهو أحد ممالئكه — كان نور الدين محمود رحمه الله يلبس في الليل مسحاً ويقوم يصلي فيه قطعة من الليل ، وكان يرفع يديه إلى السماء ويتضرع ويبكي ويقول : إرحم العشار المكاس . وكان متبعاً للأثار النبوية حريصاً على فعل الخير ، وقام باصلاحات دينية كثيرة منها انه منع شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومنع إدخالها الى دياره ، وكان يحد شاربها الحد الشرعي ، كل الناس عنده فيه سواء ، ولم يمكن أحداً من إظهار ما يخالف الدين وكان يقول في ذلك : نحن نحفظ الطرق من لصٍّ وقاطع طريق والأذى الحاصل منهما قريب ، أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الأصل ؟ . وحكي أن إنساناً بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزهد والتنسك وكثير أتباعه ، أظهر شيئاً من التشبيه ، فبلغ خبره نور الدين فأحضره وأركبه حماراً وأمر بصنعه وطاف به في البلد ونودي عليه : هذا هو جزاء من أظهر في الدين البدع ، ثم نفاه من دمشق .

هيئته — ويروي المؤرخون انه لما أبطل حيٍّ على خير العمل في الأذان في حلب ، واستبدل بها حيٍّ على الصلاة حيٍّ على الفلاح ، ومنع التظاهر بسب الصحابة ، عظم ذلك على الاسماعيلية وضاعت له صدورهم وهاجوا وماجوا ، ثم سكنوا وأحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذوة

حب الناس له — وقد أحب الناس نور الدين حباً عظيماً وتعلقوا به وانقادوا له حتى بلغ من حجمهم له أن راحوا يفسدونه بالأرواح : حدث مرة أن الافرنج خافلوا المسلمين وهاجموهم من وراء الجبل ، فلم يطق المسلمون دفعهم فانهمزموا ، ووضع الفرنج السيف وأكثروا القتل والأسر ، وقصدوا خيمة نور الدين فخرج عجلًا وركب فرساً وحده ، وكان في رجل الفرس شبيحة ، فنزل رجل من الأكراد فقطعها فنجى نور الدين وقتل الكردي ، ولولا تضحية الكردي بنفسه لقتل نور الدين . ولما عزم على فتح بانياس قدم دمشق في إخراج آلات الحروب وتجهيزها الى العسكر ، وأمر بالنداء بدمشق في الغزاة والمجاهدين ، فتبعه من الأحداث والمطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق كثير . وأصابه مرة مرض حادّ طام ٥٢ فقلقت النفوس وجزعت القلوب وتفرقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال حتى شفي فاطمأن الناس وفرحوا بشفاائه فرحاً عظيماً .

ولما عزم نور الدين على فتح حارم أرسل كتباً إلى الامراء يطلب منهم الاشتراك معه في الجهاد فلما قرأ نجر الدين قرا أرسلان كتابه قال له خواصه على أي شيء عزمت ؟ قال على القعود ، فان نور الدين قد تحمّص من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقي بنفسه والناس معه

في المهالك ، فلما كان من الغد أمر بالنداء في العسكر بالتهجد بالغزاة فقال له خواصه ، ما عدا بما بدا ؟ فأرقتك بالامس على حال ونرى الآن ضدها فقال إن نور الدين قد سلك معي طريقاً إن لم أنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي وأخرجوا البلاد عن يدي . فقد كان زهادها وعبادها والمنقطعون عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج ويطلب منهم أن يخونوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من أوائك ومعه اتباعه وأصحابه وهم يقرأون كتب نور الدين ويكفون ويلعنوني ويدعون عليّ فلا بدّ من إجابة دعوته .

وكيف لا يحبه الناس ويتعلقون به ويفدون به بالغالي والنفيس وهو الذي أسس دولة وبني ملكاً وشاد مجدداً واستطاع بذكائه وإخلاصه أن يخلص البلاد الإسلامية من شر حملات كانت تتدفق على هذه الديار كاسيل الهادر ؟ وكيف لا يحبونه ويلقبونه بالملك العادل وهو الذي سار في الناس سيرة ذكرتهم بعهد العمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ونشر المساواة بينهم وأخذ للضعيف بحقه من القوي المعتدي ، وبذل قصاري جهده في سبيل الترفيه عن الرعية ونشر الأمن والرخاء والسعادة فيهم . لقد دعي بحق الملك العادل وإن سيرة عدله اتعد من أعظم سير الملوك وأروعها .

ورعه — وكان رحمه الله ورعاً ، فانه مع سعة ملكه وكثرة ذخائر بلاده وأمواله ، كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف فيما يخصه الا من ملك كان له ، قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصدة لصالح المسلمين : أحضر الفقهاء واستفتاهم في أخذ ما يحل له من ذلك فأخذ ما أفتوه بحله ولم يتعهده الى غيره .

قال ابن الأثير : حكى لي من أتق به أنه دخل يوماً الى خزانة المال ، فرأى فيها مالاً أنكره فسأل عنه فقيل له إن القاضي كمال الدين ارسله وهو من جهة كذا . فقال : إن هذا المال ليس لنا ولا لبنت المال في هذه الجهة شيء وأمر برده وإعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه ، فأرسله متولي الخزانة الى كمال الدين فردّه الى الخزانة وقال : إذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عني إنه له فدخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على النواب وقال : ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه ؟ فذكروا له قول كمال الدين فردّه اليه وقال للرسول : قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا المال ، وأما أنا فربقتي دقيقة لا أطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى ، يعاد قولاً واحداً .

صدقاته وهباته — وكان كثير الهبات والصدقات ، يعطي من يتوسم فيه الخير والحاجة . حكى عنه أنه حمل إليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة ، فلم يلتفت اليها ، وبينما الحاضرون معه في حديثها إذ جاءه رجل زاهد فأمر له بها . فقيل له إنها لا تصلح لهذا الرجل

ولو أعطي غيرها كان أنفع له ، فقال : أعطوها له فاني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة ، فسألت اليه فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار .

وحسب ما تصدق به على الفقراء قبيل وفاته بأشهر قليلة فزاد على ثلاثين ألف دينار ، وكانت عادته في الصدقة أنه يحضر جماعة من أمائل البلد من كل محلة ويسألهم عن يعرفون في جوارهم من أهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم . وكان يصرف ما خصص له من المال في كل شهر في نفقاته وحوائجه ، وما زاد معه في آخر الشهر تصدق به على الفقراء .

وحضر صبي وبكى عند الملك العادل وذكر أن أباه محبوس على أجرة حجرة من حجر الوقف فسأل عن حاله فقالوا : هذا الصبي ابن الشيخ أبي سعد الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في حجرة للوقف وليس له قدرة على الأجرة ، وقد حبسه وكيل الوقف لأنه اجتمع عليه أجرة سنة . فسأل الملك العادل : كم أجرة السنة ؟ فقالوا : مائة وخمسون وذكروا سيرته وطريقته وفقره ، فرق له وأنعم عليه وقال : نحن نعطيه كل سنة هذا القدر ليصرفه الى الأجرة ويقعد فيها . وتقدم بذلك وباخراجه من الحبس ، فوصل الى قلب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كأن الانعام كان في حقه .

عدله — قال ابن الأثير : لقد كان نور الدين يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كأنه من كان القوي والضعيف عنده في الحق سواء ، وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير . وإن أخبار عدله وحوادثه كثيرة لا يمكن أن تحصى ، ولقد قرأت منها الشيء الكثير فامتلت نفسي إعجاباً به . وبحسبي أن أورد لكم حادثة منها . قال العماد الكاتب : كان نور الدين بدمشق يلعب بالكرة ليروض خيله ويمرّ بها ، فرأى رجلاً يحدث آخر ويشير بيده الى نور الدين فأرسل اليه يسأله عن حاله فقال : نبي مع الملك العادل حكومة ، وهذا غلام القاضي ، فألقى نور الدين الحجر وكان من يده يخرج من المهدان وسار الى القاضي وهو حينئذ كمال الدين الشهرزوري وأرسل الى القاضي يقول له : انني قد جئت محاكاً فأصلك معي مثل ما تسلكه مع غيري ، فلما حضر ساوي بينه وبين خصمه وحاكه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين ، فقال نور الدين حينئذ للقاضي ولئن حضر : هل ثبت له عندي حق ؟ قالوا : لا . قال : أشهدوا أنني قد وهبت له هذا الملك الذي حاكني عليه وهو له دوني ، وقد كنت أعلم أنه لا حق له عندي وإنما حضرت معه لئلا يظن أنني قد ظلمته . فحيث ظهر أن الحق لي وهبته له . وهذا كما يقول راوي القصة مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الزمان وتفرق الحكامة . أجل أنه استكثر ، وهل معتم في عصرنا هذا ، عصر المدنية والنور ، أن ملكاً أو أميراً أو وزيراً

وقف الى جانب خصم غير ذي مكانة أمام الحاكم أو القاضي .
ولقد قال نور الدين : انني أفكر في والي وليته أمراً من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم ،
أو فيمن يظلم المسلمين من أصحابي وأعواني ، وأخاف المطالبة بذلك ، ثم قال للعبدین
الواقفين على رأسه : بالله عليكم لا تريان قصة ترفع إليّ أو تعلمان مظلة إلا أعلماني بها ،
وارفعهاها إليّ ، وإلا نخبزي عليكم حرام .

ولكثره تحريه العدل بنى دار العدل بدمشق وعيّن لها موظفين ورسم لها ميزانية
خاصة وصارت هذه الدار ملجأ للمظلومين من أقاصي البلاد ، وكان يقعد فيها في الأسبوع
الواحد أربعة أيام أو خمسة لكشف الظلمات والنظر في أمور الرعية ، لا يطالب بذلك درهماً
ولا ديناراً يرجعان الى خزانة ، بل كان يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله . وكان يأمر بحضور
العلماء والفقهاء الى جانبه ويأمر بازالة الحاجب والبواب ليصل اليه الضعيف والقوي والفقير
والغني . قال أبو الفتح الأشعري الفقيه : كانت تحضر مجلسه العجوز الضعيفة التي لا تقدر
على الوصول الى خصمها ولا التكلم معه فيأمر بمساواته لها فتغاب خصمها طمعاً في عدله
ويعجز الخصم عن دفعها خوفاً من عدله .

ومن أعجب ما ورد عن عدله أنه عدل بعد موته ، وذلك أن رجلاً غريباً استوطن دمشق
لما رأى من عدل نور الدين ، فلما توفي نور الدين اعتدى بعض الجنود على هذا الرجل فشكاه
فلم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي وقد شقّ ثوبه وهو يقول : يا نور الدين
لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا أين عدلك ؟ وقصد قبر نور الدين ومعه من الخلق
ما لا يحصى وكلهم يبكي ويصيح ، فوصل الخبر الى صلاح الدين فقبل له أحفظ البلد والرعية
وإلا خرج عن يدك ، فأرسل الى ذلك الرجل وهو عند قبر نور الدين يبكي والناس معه
وطيَّب قلبه ووجهه شيئاً وأنصفه فبكي أشد من الأول فقال له صلاح الدين : ما يبكيك ؟
قال أبكي على سلطان عدل فينا بعد موته . فقال صلاح الدين هذا هو الحق ، وكل ما ترى
فينا من عدل فمنه تعلمناه .

ودخل عليه غلامه مرة وأبلغه أن القاضي يطلبه الى مجلس الحكم للحكم بينه وبين تاجر ادعى
عليه شيئاً . فقال نور الدين يحضر فرسي حتى نركب إليه ، السمع والطاعة . قال الله تعالى
إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، ثم
نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى الخادم وقال له : امض الى القاضي وسلم عليه ،
وقل له إنني جئت الى هنا امتثالاً لأمر الشرع واحتاج في الحضور الى مجلسه إلى سلوك
هذه الألفة وفيها الاطيان ، وهذا وكيلي يسمع الدعوى . وإن توجهت لي يمين أخضر إن شاء الله

تعالى ، فحضر الوكيل وممع الدعوى وتوجهت اليمين فقال : القاضي : قد توجهت اليمين فليحضر . فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم أنه لا مندوحة عن حضور مجلسه لليمين استدعى ذلك التاجر الخصم وأصلح الأمر فيما بينه وبينه وأرضاه .

ومن عدله أنه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها بعض الملوك على الظنّة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم ، فإن قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعدّ ، فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته ، وآمنت بلاده على سعتها وقلّ الشر والفساد .

ودخل حلب ، في عهد نور الدين ، تاجر موسر ، فأت بها وخلف ولداً صغيراً ومالاً كثيراً . فكتب أحد الناس إلى نور الدين يذكر له أنه قد مات ها هنا تاجر موسر وخلف عشرين ألف دينار ، وله ولد عمره عشر سنين وحسن له أن يرفع المال إلى الخزانة إلى أن يكبر الصغير يرضيه منه بشيء ويمسك الباقي للخزانة فكتب نور الدين على رفقته : أما الميت فرحمه الله ، وأما الولد فأنشأه الله ، وأما المال فتمسّره الله ، وأما الساعي فلعهنه الله !

وكتب باسقاط المكوس والضرائب وقال والله ما أخذناها إلا في جهاد عدو الاسلام ، يعتذر بذلك للناس عن أخذها ، ومنع ما كان يؤخذ من أهل دمشق من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكيالة وغيرها وأذاع منشوراً طويلاً يبطل فيه جميع المظالم .

وخدم نور الدين الاوقاف الاسلامية خدمات جليّ فرتبها ونظّمها وأشرف عليها ولم يدع درهماً واحداً يضيع منها ، وكانت الاوقاف في زمنه تسعة آلاف دينار في كل شهر كلها ملك صحيح شرعي ، وأما ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك وغيرهم فانه كان لا يتصرف في شيء منه بل إذا اجتمع يخرججه الى مجلس القاضي ويحصل ثمنه ويصرفه في عمارة المساجد المهجورة ، فهل وجدت من زاهة أعظم من هذه الزاهة ؟ أما المساجد والمدارس والبيمارستانات والقلاع التي شادها وبنّاها فأكثر من أن تحصى ، وإن دمشق اليوم لا تزال شاهدة على خدماته ناطقة بها ، ولا تزال المدارس والمساجد النورية قائمة في المدن السورية كحلب وحمص وحماة ومنبج لم تفنّها يد الزمان بعد ، وقد كان البيمارستان ذا ماض زاهر وكثير الخرج وفقه نور الدين على المسلمين كافة ، وإن الخانات التي زارها مبثوثة بين المدن السورية كانت ملجأ لكثير من المنقطعين والمسافرين ، وإن الربط والخانقاهات والمدارس والأوقاف المخصصة لها أشهر من أن تذكر . وهو أول من بنى داراً للحديث ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفاً كبيرة ، وهي دار الحديث النورية التي لا تزال إلى اليوم قائمة في سوق العرونية وقد كانت أوسع مما هي عليه اليوم بكثير .

وكان يجمع العلماء والشيوخ عنده ويقر بهم ويدبّرهم ويتواضع لهم . ويعظمهم ويوقّرهم

ويطلب إليهم البحث والمناظرة ، فقصده من البلاد الشاسعة كخراسان وغيرها ، وكان أهل الدين عنده في أعلى محل وأرفع مكانة ، وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك وكانوا يقعون عنده فيهم فينهام وإذا نقلوا عن إنسان عيباً قال لهم ومن المعصوم ؟ إنما الكامل من تعد ذنوبه . ولقد كانت الشام خالية من العلم وأهله . وفي زمانه صارت مقرراً للعلماء والفقهاء والصوفية ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس عنده بلا إذن بل يقفون بين يديه حتى يأذن لهم ، فإذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام لهم ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادة في وقار وسكون . وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكثرأ يقول : هؤلاء جند الله . وبدعائهم تنصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيتهم ، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة والفضل وكان نور الدين حنفي المذهب ، حسن الخط ، كثير المطالعة للكتب الدينية والعلمية وحدث بحلب ودمشق عن جماعة من العلماء أجازوا له ، وله أقوال وحكم منها ما ذكره أحد أتباعه المختصين به قال : كنت معه يوماً في الميدان والشمس في ظهورنا فكما سرنا تقدمنا الظل ، فاما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا . فأجرت فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لي : أتدري لأي شيء أجري فرسي وألتفت ورأيتي ؟ قلت : لا . قال : قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا ، يهرب من يطلبها ، وتطلب من يهرب منها .

هذا طرف من سيرة بطل الاسلام ، ولو رحت أعدد مناقبه وأخلاقه وأعماله العظيمة لأطلت ، ولقد صدق ابن الأثير إذ يقول : قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى يومنا هذا — فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، ولا أكثر تحريكا للعدل والانصاف منه ، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد يتجهز له ومظاهرة ينيلها وعبادة يقوم بها وإحسان يوليه وإنعام يسديه ، فلو كان في أمة لافتخرت به فكيف يبيت واحد ؟

وروى أبو الفتح الاشنري قال : بلغنا عن جماعة من الصوفية الذين يعتمد على أقوالهم من دخلوا القدس للزيارة حكاية عن الصليبيين وأنها يقولون : ابن القسم له مع الله سر ، فانه ما يظفر علينا بكثرة جنده وعسكره وإنما يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل ، فانه يصلي بالليل ويرفع يده الى الله ويدعو ، فإله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤاله وما رد يده خائبة فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه .

رحمك الله يا نور الدين فلقد سطرت في سجل التاريخ الاسلامي صفحة ناصعة من صفحات البطولة والمجد متبقي على توالي الاحقاب نبراساً يستضيء به المسامون في مشارق الارض ومغاربها .
(دمشق)
ناهي الظنطاري

في الصيف

بين المصيفين من لا ينتفع بأيامه على الشاطئ .. لأنه يسرف في اللهو .. ساهراً بين كؤوس الطلا .. مكباً على موائد الميسر .. صريعاً عند أقدام الغواني .. ناسياً أن أيام المصيف فترة استجمام .. ينبغي أن يهنا المرء خلالها براحة تامة : نفسية ، وعقلية ، وجسدية . وكما تحمل على أوفر نصيب من الصحة .. ضع لعطلتك الصيفية برنامجاً اكتبه على ورقة ونفذه باخلاص وأمانة .. متخذاً أساساً لهذا البرنامج أن أيام الشاطئ هي فترة تخزين في أثنائها النشاط والقوة والصحة للعام بأكمله .

واليك نظاماً اذا راك اتبعه .. وإلا فضع على غراره ما يناسبك :

- ١ — استيقظ مع الصباح عند الساعة السابعة .
- ٢ — بعد غسل أسنانك .. وشرب كوب من الماء على الريق .. تناول منقوع التين ، والبلح ، والمشمش ، والفراصية ، والزبيب ، والحروب .
- ٣ — اذهب الى الشاطئ مشياً على الاقدام .. وتنفس تنفساً عميقاً في أثناء المسير
- ٤ — قم على الشاطئ ببعض ألعاب رياضية ربع ساعة
- ٥ — اسبح ربع ساعة . ولا تحش برودة البحر لانه في الصباح أدفاً منه ظهرأ
- ٦ — خذ حمام الشمس ربع ساعة أخرى ثم عد الى بيتك أو « كايبتك »
- ٧ — تناول طعام الافطار ، وليكن لبناً ، وفاكهة ، وبليطة مجهزة بالعلسل النحل والزبيب والبندق .
- ٨ — اذا شعرت بالنوم بعد الافطار .. فتم .. ففي المصيف يجب أن تنام ضعف ما تنام في حياتك العادية .
- ٩ — في وقت الظهر عد الى الشاطئ .. وخذ حمامك اللثاني بجرأ وشمساً .
- ١٠ — تناول طعام الغداء .. وليكن نوعين من الحضر ولحماً ، أو سمكاً ، أو بيضاً ، وسلطة ، وفاكهة .
- ١١ — تم وقت القيلولة ما شئت .
- ١٢ — في المساء انس الجلوس في المقاهي .. وسر على الشاطئ حتى تحس التعب ثم عد الى بيتك . واياك أن تنسى التنفس العميق كلما مشيت
- ١٣ — تناول طعام العشاء : عيشاً مجزأ من دقيق القمح بأكمله ، وجبنة ، ولبن زبادي ، وفاكهة ، وقليل من البندق
- ١٤ — ثم اجمع عند العاشرة مساءً .. وأنت ممتلئ نشاطاً وسعادة وقوة .

فرهمي عطا الله

قبر أنخوس آمن

عندما أشرفت بعثتنا من فوق ربوة تطل على سهول طيبة الجافة ، كان يتملكني إحساس قوي بأن هذا الركن المنعزل من صحراء ليبيا يخفي ما كنت صاعياً إلى كشفه منذ سنين عديدة — ألا وهو قبر الملكة (أنخوس آمن) قرينة الملك (توت عنخ آمن) .

وبعد عدة أشهر فتحنا مخدع الملكة المدفون في نفس ذلك اليوم المشؤوم الذي غزا فيه هتلر بولندا ، فاضطررنا أن نسد اللحد بما يحويه من كنز ثمين ، وأرجأنا التنقيب في هذا القبر الكائن في وادي الملكات . والإرل (تان-كارفيل) يعدنا بالمال اللازم خدمة لمتحفين اثنين . وكانت حملتنا الأثرية مؤلفة مني ومن مساح ومصور وجيولوجي وطلاب وخدم وأتباع ومن رفاقي الخواص وهم حسن وأحمد وملاحظ العمال واثنين من الأعراب الخبيرين الذين قت معهم باستكشاف في الصحراء الكبرى وحبیب الطبّاخ وكانت مؤونتنا تشجن من الأقصر في قارب ثم تنقل إلینا بالسيارة

واستكشفنا في أحد الأيام ما أثار دهشتنا حين بان لنا خاتم حجري قد نقش عليه اسم (أنخوس آمن) وذلك عند ما كنت وحسن نقيب في المفاوز الغربية من وادي الملكات . فكان دليلاً قاطعاً على وجود القبر غير المكتشف . عندئذ مسحنا المكان مسحاً دقيقاً وثبتناه بالخرط بما فيه من ضخور مبعثرة وأخاديد وأجراف وكذلك عثرنا على درج لم يظهر منه غير جزء لا يتجاوز الست عقد على حافة صخرة عاتية . ثم انحدرونا إلى السهل أنا وأحمد وحسن وعلي خادمي الشخصي وحبیب الطاهي ودلفنا إلى مخيمنا فجلبنا الحبال والفؤوس والمجارف والمناخل وغيرها من الأدوات وعدنا إلى المكان فنزلنا عدة درجات أخرى بعد تعب شديد اكتشفنا على أثره ممراً منحدراً مليئاً بالانقاض .

واستطعنا في اليوم الثاني أن نصل إلى المدخل الثقيل وأن نحدث ثقباً في الجدار القديم

القائم بدون أن نحدد آثار الخاتم وأنسنا عند تسليط نور المصباح الكهربائي نحو تلك الفتحة
مراً ضيقاً آخر قد كدست فيه الانقراض أيضاً.

ولم ينقض يومان حتى تمكنا من أن نحفر حفرة لعمق أربعين قدماً أدت بنا إلى باب ثانٍ
موصد ومختوم، ففحصنا الاختام جميعها وأدليت قنديلاً خاصاً لاختبر احتمال وجود غازات
سامة مميتة. فماكدت أفعل ذلك حتى تراقص لهب القنديل بتأثير خروج الهواء الحار الذي
كان محبوساً نيفاً وثلاثة آلاف وأربعمائة سنة.

فهتف حسن بالشراح مؤكداً أن هذا المكان لابد أن يكون المدفن الخفي الذي يفهم
كنوز الملوك.

وكانت مباغته صفق لها قلبي فرحاً وسروراً عند ما شاهدت وأنا أسلط النور إلى الغرفة
الصخرية التي يبلغ طولها ٣٠ قدماً وعرضها ١٥ قدماً الكنز البراق، كنز عصر الملوك في مصر
القديمة، عند ذلك وضعنا الثغرة بالقووس بالمقدار الذي يسمح لنا أن نلج منه ورفاقي العرب
خلال العمل يرتلون بعض الآيات القرآنية ويقرأون التعاويذ. ولقد كان الحرّ شديداً
لا يطاق والرمل الخشن يخمش وجوهنا. واني لموجه نور المصباح، إذا بي أشاهد آثار
طبقات أقدام حافية عليه هي من غير شك طبقات أقدام الذين دفنوا الملكة في ذلك العصر.

وأما سرير الملكة الذهبي وكراسيها وتمائيلها وزهرياتها الرخامية وصناديقها المرصعة فكانت
تزهو بألوانها وتلمع بطلائها المسجدي والهجيني. وبينما نحن ذاهلون من هذا المشهد الفريد،
إذا بنا نسمع صوتاً غريباً أشبه بالحفيف. فنزلنا ومعنا آلة التصوير ومضخة الرش لأنني
كنت على بينة مما سيحدث إذ علمتني تجربة فتح قبر الملكة (تن هيتان) ما ينبغي عليّ
تداركه. إن الهواء الجديد الذي اندفع من الخارج كاد يبدل جو الغرفة الميتة، حيث أخذت
المحتويات الثمينة بالتفسخ والتغيرات الكيميائية بالتزايد وأنا أصور الغرفة وأرش أوهر
الودائع بالمادة الكيميائية المثبتة خفية أن لا يتكرر ما حدث عند فتح مخدع الملك
(توت عنخ آمّن) إذ استجالت أمن محتوياته تراباً حيث لم يكن العلم قد توصل في ذلك
الوقت إلى الحيلة لمثل هذه الطوارئ والحالات.

والمركب الكيميائي الذي يتزوّد به كل عالم أثري برشه على العاديات الواهنة فتصطب في

الحال ولا يتغير ما فيها من ألوان وزخارف . وهذا ما فعلته في كل محتويات هذه الغرفة الخالدة قبل أن يعثرها الناف أو يصيبها التفسخ .

ولبثنا يومين كاملين ونحن نعد الأشرطة اللاصقة وكميات كبيرة من محلول (البكلوديون) والبرافين والقطن لحفظ التحف الناعمة وطلبت الى علي أن يذهب الى الأقصر ليحلب باباً فولاذياً وأقفالاً محكمة لسد المدخل . وانقضت أيام كنا نسمى خلالها مسعياً حينئذٍ ومتواصلًا حتى تمكنا في آخرها من فتح الغرفة الثانية المطمورة .

وكان أول ما حيانا فيها ونحن نسلط الانوار الكشفية منظر يحلب الالباب ويأخذ بجامع القلوب إذ شاهدنا ثلاثة أسرة مذهبة عاجية وكراسي صغيرة مطعمة بالذهب الابريز وزهريات رخامية قد زينت جميعها بصورة الملكة الراحلة .

وقد عثرنا تحت المخدع على صناديق خاصة بالثياب وأخرى للحلي وكلها مرصعة بالأحجار الكريمة بشكل فني بديع . وقد صنعت من الذهب والفضة والعاج وضمنها أحقاق لاجر الحدود والشفاه ومساحيق للوجه وملاقط للشعر ومقصات فضية ومساكين لتقليم الأظافر ودبابيس ذهبية للصفائر ومرايا عسجدية ومجموعة من الحلي النفيسة كالأساور والخواتم والأقراط والقلائد وغيرها مما لا يمكن تقدير ثمنه قد حفظت بكل الاتقان .

وأخرجنا ثلاثة تيجان متفاوتة الجمال من أحد صناديق الحلي الذي كان موضوعاً بجانب التمثال النصفي للملكة قد غطي تاجان منها بقبعتين تمثالان نسرًا ناسراً جناحيه على جانبي الرأس وقبعة للتاج الثالث بهيئة الثعبان المقدس (كوبرا) التي كان يلبسها الملوك والملكات والرهبان فقط كشعار قدسي خاص بهم .

غير أن أئمن ما اكتشفناه من هذا كله صندوق في داخله ملف اسطوانتي من البابيروس لمخطوط دون فيه تاريخ حياة الملكة والذي سيقفنا على ما كنا نجهله عن بعض نواحي حياة الملك (توت عنخ آمن) حيث لم يعثر عند كشف لحده على مخطوط مماثل يعرفنا قصة حياته . واستطعنا كذلك أن نخرج العربية الملكية الذهبية وكانت الآثار الظاهرة على عجالاتها تدل على كثرة دوراتها في شوارع مدينة طيبة الوعرة .

وأما ثياب الملكة (انخس آمن) فوجدناها بالشكل الذي وضعت به تفوح منها ومن

صائر ذخائر الزينة النسائية لذلك العصر روائح المسك والخزامى والياسمين . وانتهى بنا البحث الى الاحد المخفي تحت الخدع بسمة عشر قدماً واستطعنا بعد لاي أن نخرج جوانب اللوح الصواني الذي وضع — كما يظهر — قصداً أمام مدخل قبو الاحد . وتمكننا بهدى الأنوار الكشفية أن نرى الناووس الملكي بغطائه الصواني الكبير وقد نثرت من فوقه الأزهار الزاهية . الا أن الدهشة التي اعترتنا — ويا للأسف — من هذا المنظر المفاجيء أذهلتنا فأنستنا أن نخبر احتمال وجود غاز سام في جو القبو وقد فطننا اليه بعد فوات الأوان فكان اللورد تانكارفيل أول من ترشح فوق على القطط المحنطة الجميلة وأعقبه كل من حسن وحبيب الذي كان يحمل المصباح بيده غير اني استطعت أن أمسك المصباح في اللحظة الأخيرة قبل أن يسقط وأن أحمل اللورد (تانكارفيل) المخرج الى الممر الخارجي بمساعدة أحد الأتباع بالرغم من تغلب الدخان المتصاعد الذي كان يضايق أنفاسي وقد سقط المصباح وأنا أقوم بهذا العبء فصرنا في ظلام دامس ونحن نتسلل الى خارج الحفرة بمشقة .

وكان جرح (تانكارفيل) بليغاً في جهة عينه اليمنى وأصيب العمال بفضوض من تعثرهم بالناووس من شدة الرعب بما فيهم علي الجبار الذي كان يشق الطريق أمامنا لنبعدنا عن الجو المسموم .

ولم تكذب بزغ شمس اليوم الثاني حتى استطعنا أن نزيح غطاء الناووس فبان لنا صندوق المومياء المصبوغ ولم يكن في الدنيا أجل أو أدل على الحياة من هذا التمثال الذي ظهر بعد اختفائه آلافاً من السنين وقد كانت نقوشه الموشاة بالذهب فناً قائماً بذاته . وثابرتنا على العمل لفتح التابوت — ففتحناه وبدأنا نرفع الأربطة الكتانية بحذر شديد وهي معطرة بالمسك الزكي المصنوع بن مجهول . فلما أسفر عن وجه الملكة رششنا الرأس الجميل بالمواد الكيميائية اللازمة حالاً وراعنا أن وجدنا أهذاب الملكة وحاجبيها تم عن الحياة وهي بالوضع الذي حنطت فيه وكانت قسمت وجهها ضاحكة .

ان الملكة (أنخوس آمن) هي البنت الثالثة للفرعون (آمن حوتب) الرابع والملكة (نفرتيتي) ماتت وهي في الربع السادس والثلاثين كما يرويه سجل البابيروس المكتشف في قبرها .

كان الوجه مغمماً وملفوفاً باعتناء بشريط ملون ولا شيء أدل على مهارة أولئك الصانع وحذقهم من اظهارهم حتى ظلال الاهداب على الوجه وصنع الاقراط الذهبية بوضع نقط فطرات عطرية على الكتفين عند أية حركة .

وكان اللورد (تانكارفيل) يصوّر كل مرحلة من مراحل فك أربطة المومياء وشرعت أرفع رباط العنق المزين بالجواهر وقطعها عند الكتف الايمن . وبينما أنا في عملي هذا لاح لي خاتم في أصبع الملكة فيه شعار العين المقدسة المنحيت لأخصه وأنا يتدلى كني العجب . واني كذلك وقد بهرتني أصابع الملكة الرقيقة إذا باليد اليمنى تتحرك فتوقفت أنفاسنا من روع الحادث وهوله ويد الملكة الجميلة مستمرة في الارتفاع فأخذنا نتقهقر نحو الباب كالجانين فانقلبت قوائم آلة التصوير على المومياء وحدثت جانب التابوت النمين .

وتعلل حركة يد الملكة بتبدل جو القبو . وذلك عند ما لامس الهواء الجديد جسم المومياء المحتبس منذ آلاف سنين تحركت العضلات والمفاصل المتشنجة تبعاً لهذا التغير الطارئ وقد حدث مثل هذا المومياء رسميس الثاني عند الكشف عنها .

ولما تلاشت قوى اللورد (تانكارفيل) من جراء جرحه في اليوم الثاني من فتح مومياء الملكة نقل الى الأقصر ومنها الى القاهرة وعدت فغطيت تابوت المومياء الخدش وأطبقت عليه غطاءه الصواني الذي يزن طنين والخطوط بالهير وغليفية .

وأرجعنا محتويات اللحد الى مخبئها الأصلي وأحكامنا المنافذ بالأمنحت المسلح وختمنا المدخل السري وواريناه بالانقاض والتراب .

وقدمت كل من (اللورد تانكارفيل) واحمد من تسمم جراحهما الذي سببته على ما أعتقد جرثومة سامة كانت موجودة في جو القبو المسموم . ولو أن الناس هناك يعرفون ذلك الموت الى انتقام الفراعنة كما سبق ان مات الإرل (كارنارفون) في حالة مماثلة عند فتحه مومياء الملك (توت عنخ آمن) وإذا ما عدنا الى وادي الملكات في المستقبل فسنزود بمقابر من السولفا والبنتسليين لعلاج مثل هذه التسممات الطارئة . وأكبر ظني بعد ذلك ان العالم سوف لا يسمع بموت عالم أترى من جراء انتقام الفراعنة .

قصر الرين العيبيري

المراق . بغداد

المفتش في ديوان وزارة المعارف

مجلة ١٠٩

(١٧)

جزء ٣

حقيقة الضوئيات

— ١ —

جاء في عدد المقتطف الأغر الصادر في يونيو من سنة ١٩٤٦ مقالة عنوانها « ماهي الفوتونات » للاستاذ نقولا حداد . فأورد الاستاذ حقائق مشوهة أردت أن يبينها . ولست أدري من أي ناحية أخذ الاستاذ في مقاله ، أمن الناحية التي لم يقو بها على تفسير الضوئيات ، أم من عدم تمكنه من تفسير الكميات الفيزيكية ، أم من اسناده لبعض العلماء أقاويل دون أن يكون لهم أي علم بما نسبته اليهم . يسأل الاستاذ في مقاله « ماهي الأشعة » ؟ . ويريد أن يفسر أشعة اكس وكل أشعة أخرى فيقول « هي تموجات اثيرية أو هي جسيمات متموجة » . فالتموجات الاثيرية لا وجود لها في الفيزيكا الحديثة وان هذه المادة المزعومة أصبح لا وجود لها اليوم سوى اسمها . فالأشعة — كما نعلم — نواتج إما أمواج كهربية أو دقائق (جسيمات) كما ذكر الاستاذ . وقد نحصل على أشعة اكس من أي مادة كانت اذا أطلقنا عليها قذائف من الالكترونات بسرعة هائلة ، لأن الالكترونات عند تصادها بذرات المادة تشع .

أما الضوئيات فقد نقل الاستاذ قول جينز عنها في كتابه « الكون الغامض » وقد استشهد الاستاذ بهذا الكتاب غير مرة مما يظهر انه المرجع الوحيد أو الأكبر الذي توصل اليه الاستاذ في تفسير الضوئيات .

السير جيمز جينز حجة وعالم كبير وله نظريات في العلم الحديث ندين له بها . ولكن كتابه الكون الغامض لا يستحق أن يكون المرجع الوحيد في تفسير تركيب الذرة وفعلها . ان السير جيمز جينز كتب كتابه الكون الغامض « نفثتين من الناس ، أولاً : للذين يدرسون الفلسفة ويريدون أن يعلموا على العلوم الطبيعية الحديثة اطلائاً مجملًا ، وثانياً للمتطف التي

يود أن يعرف عن أسرار العلوم الطبيعية الحديثة معرفة مجملة وبصورة مختصرة .

ولهذا فكتاب « الكون الغامض » قد غمض منه بعض الشيء على الأستاذ بدليل أنه لم يفسر الجملة التي أوردها حيث قال منسوباً إلى جينز .

« يمكننا أن نتصور بوضوح الجسمين الكهربيين (البروتون والالكترون) مندفعين معاً بفعل تجاذبهما المتبادل بسرعة فائقة إلى أن يتحداً أخيراً فتتنافى تعبتاتهما الكهربائية فتنتطلق قوتهم المركبة منهما بومضة إشعاع — هي الفوتون » .

أولاً — إن العلامة جينز لم يقل ، في آخر الجملة ، فتنتطلق قوتهم المركبة منهما بومضة إشعاع — لأن هذا القول ليس علمياً فكيف تكون القوة مركب المادة ؟ ولكن جينز قال « فتنتطلق طاقتهم المشتركة كومضة إشعاع » .

ثانياً — لم يفسر الأستاذ ذلك التجاذب والتفاعل الذي أحدث ذلك الإشعاع . نحن نعلم أن المادة مركبة من ذرات وهذه الذرات أيضاً مركبة من الكترونات وبروتونات وبوزترونات ، فلماذا لا نرى إشعاعاً في أكثر المادة ؟ إن جينز لم يفسر هذا القول معتمداً على الاختصار وعلى الفئة التي كتب لها . فالإشعاع الذي يحدث هو عن طريق تجربة خاصة وهي ، إذا أطلقنا قذائف من البروتونات أو الالكترونات بسرعة فائقة bombard على بروتونات أو الكترونات أخرى تتصادم تلك الكتل الصغيرة فتحول إلى طاقة ، ونحن نعلم إن الطاقة تعتبر حرارة أو قل إن الحرارة شكل من أشكال الطاقة ^(١) ، فلا يصح أن نقول — كما قال الأستاذ — الفوتونات مادة تصحبها قوة بشكل حرارة ونور ، لأن المادة شكل والقوة شكل آخر ، كما أن القوة نوع والحرارة نوع آخر .

ثم يقول الأستاذ معتمداً على « الكون الغامض » : « إن الطاقة هي في الفوتون أو هي مصاحبة له أو هو يحملها » هذا هو قول غير صحيح وحاشي أن ينسب إلى علامة مثل جينز . إن كل عالم أو كل من يدرس العلوم الطبيعية يجب أن يعرف هذه الحقيقة وهي أن الفوتونات مقادير ضوئية . وقد عبر بلانك عن هذه المقادير الضوئية بهذه الصورة $h\nu$ (في) عدد الاهتزازات في الموجة الضوئية و h هو ثابت بلا شك . وحسب نظرية بلانك فالطاقة

(١) قانون التيرموديناميك الأول .

التي يرمز لها بحرف تساوي E تساوي $E = h\nu$ أي ان الفوتونات هي « طاقة » فلا حاجة لمثل هذا اللف والدوران وهذه التفاسير والفلسفات .

ثم أورد الأستاذ تجربة كوكرفت وولتن في تغيير ذرة الليثيوم مع ذرة هيدروجين أي ذرتي هيليوم ، فقال الأستاذ ان هنالك نقص قد حصل « فأين ذهب » ؟

ثم يقول « فترى انه في تحول الليثيوم والهيدروجين الى هيليوم ضاع في المادة ما قدره ٠.٠١٨٣ ، فأين ذهبت هذه المادة ؟ لم تضع بل ذهبت قوة أو طاقة تصحبها فوتونات .
ثم يقول الأستاذ « فبناءً على هذه الظاهرة التي استغربها العلماء فان انشتين ، وواقفه بعض زملائه ، قال إن المسألة قوة والقوة مادة وكلاهما شيء واحد » ثم يقول « وانشتين يضل طلاب العلم البسطاء أمثالي » — أي الأستاذ — ثم يدحض قول انشتين .

شيء مضحك أن ينسب الأستاذ حداد الى انشتين قولاً لم يقله ولن يقوله لأن انشتين أكبر علماء العصر الحديث ، فلو صحَّ هذا القول الذي نسبته اليه الأستاذ لأصبح انشتين أكبر مجانين العصر الحديث .

لست أدري من أين أتى بهذا القول وفي أي مكان أو زمان قاله انشتين « ان المادة قوة والقوة مادة وكلاهما شيء واحد » .

لنقف قليلاً ولنعد الى النقصان في التجربة المذكورة ، ونرى كيف يعلمه الأستاذ حداد فهو يقول ذهبت قوة أو طاقة تصحبها فوتونات .

ولكن الأستاذ لم يعلمنا كيف حصلت هذه القوة أو الطاقة التي يذكرها . هل كان التحويل عن طريق الخلط أم الكبس أم الذوبان أم عن طريق التحريك حتى نحلل ذلك النقص فنحكم له أم لانشتين . ولكن الأستاذ حكم لنفسه .

انني لست متمحكاً ولكن أريد الحقيقة . يظهر أن الأستاذ نقل هذه الحقيقة نقلاً دون أن يفطن الى التجربة وهي انه اذا أطلقنا ذرة الهيدروجين ككذيفة على ذرة الليثيوم بسرعة هائلة نتج عن ذلك عنصر له ميزة الهيليوم الكيماوية وله نفس الوزن والعدد الذري . وأما النقص فليس كما ينسبه الى انشتين من ان القوة مادة والمادة قوة . نحن نعلم ان القوة هي Force والمادة Matter فكيف يقول انشتين قولاً كهذا ؟ . فانشتين قال ان الكتلة اذا

ضربت بثابت تصبح طاقة . هذا قوله الصحيح فمعادلته هي $E = mc^2$ و E هي الطاقة و m هي الكتلة C^2 هو الثابت وهو مربع سرعة الضوء .

وقد جاء انشتين بهذه المعادلة سنة ١٩١٥ بينما تجربة كوكرفت وواتن كانت سنة ١٩٣٢ فلم يعمل اينشتين ذلك النقص ، وإنما قانونه في الطاقة قد ضم ما جاءت به تلك التجربة . فالتقص إذا قد أصبح طاقة أو حرارة وليس قوة أو طاقة مصحوبة بفوتونات كأن القوة شكل من أشكال الطاقة وبالعكس ، أو كأن الطاقة تصحب الفوتونات وليست هي بعينها . ان الكميات الفيزيائية هي تركيب الدواء للمريض ، فيجب أن يكون الانسان دقيقاً في استعمالها الى درجة قوية ، يعرف تماماً ما يقول وأين يضع كل منهما . فاذا قال أحد $2 + 2 = 4$ أو 5 فهذا يدل على أن المعرفة لم تكن واضحة في دماغه والأفكار ليست بيّنة .

لقد أنعم الله علينا بالعقل ، و أفضل ما عمله العقل لبني الانسان هو اختراع العلوم الرياضية التي بها يصح أن نقول ان الانسان قد شابه الخالق وبها قد فهم شيئاً من أسرار خلقه . فحسب نظرية بلانك الطاقة أو الفوتونات أو المقادير الضوئية هي $E = hv$ لا الالكترونات إذا تصادمت فكانت سرعتها فائقة تحولت الى فوتونات وهذا دليله . لنفرض أن زخم الفوتون $\frac{hv}{c}$ ولنفرض ان له كتلة هي m صفر وكتلة الالكترون m

$$(١) \dots E = hv = mc^2 = \text{حسب انشتين وبلانك فالطاقة}$$

$$(٢) \dots m = \frac{E}{c^2}$$

$$c^2 = \frac{E}{m} = \frac{hv}{m}$$

$$\text{وعند التصادم تكون المعادلة هكذا} \quad m = \frac{hv}{c^2} \text{ صفر}$$

$$\text{تضع بدل } c^2 \text{ الـ } \frac{hv}{m} \text{ نحصل}$$

$$(١) \text{ صفر } m = \frac{hv}{\frac{hv}{m}} = m$$

$$(١) \text{ تذهب } hv \text{ البسط مع } hv \text{ المقام وتبقى } m$$

إذا تكون كتلة الإلكترون بعد الالتحام مساوية لكتلة الفوتون المفروضة .

بقيت كلمة أخرى وهي تساؤل عن القوة فيقول «ما هي القوة أو الطاقة ؟» كل ما نفهمه منهما إنما أثرها وهي الحركة ... أين هي (أي القوة) لا ترى «
أولاً — كما نوهت سابقاً يجب أن يفرق بين القوة والطاقة كميات فيزيقية فالطاقة شيء والقوة شيء .

ثانياً : فلو كنا في عصر أرسطو لما فهمنا من القوة أكثر مما تحدث عنها الأستاذ أي إنها شيء نحس فعله دون أن نراه . وأما اليوم فإننا نشعر بالقوة الفيزيكية لا بل نلمسها وذلك بنعمة الرياضيات التي بها أصبح العلم الطبيعي قادراً على أن يحل قوانينه . فنحن بهذه الواسطة نقدر أن نلمس أو نحس القوة . وهي الكتلة مضروبة بالأبعاد أو الاستعجال Acceleration ^(١) أي $F = ma$ أو بشكل حساب التفاضل هي

$$F = m \frac{dv}{dt} = E m \frac{d^2z}{dt^2}$$

وأخيراً يظهر أن الأستاذ يعتمد على المطالعة في كتابة مقالات عن العلوم الطبيعية وليست تخصيصه الجامعي

فؤاد جميعه

القدس

(١) تعمدت وضع الكميات بالرموز اللاتينية واليونانية لاني أدعو إلى كتابة الرموز العلمية على هذا الشكل . واذ لم يكن لديكم حرف (ني) أرجو تبديله بحرف n وقد ترجم الدكتور مشرفه هذه الكلمة بـ « سرعة » كما أوردتها في كتيبه ونحن نعلم أن كلمة سرعة هي Acceleration Velocity أي استعجال أو ايضاح أو سرعة — الزمن

٢ - الضوئيات

قرأت في مقتطف يونيو الماضي مقال الأستاذ نقولا الحداد ردًا على ملاحظاتي - الرقمية والتاريخية - السابقة فأشكر له صراحته واعترافاته ولا عجب فهذا خلق العلماء . لقد قال الأستاذ بادئ ذي بدء بأن ملاحظاتي كانت رقمية وتاريخية ولو أنصف لم يقل ذلك إذ أنني لم أتعرض في مقالي السابق للتعليق على تاريخ أو رقم اللهم إلا عمر الأورانيوم، وأظن أن الأستاذ يوافقني بأنه لا يوجد بأي شكل من الاشكال صورة نستطيع بها أن نعين عمر الأورانيوم إلا بالأرقام . أما إذا اعتبر حضرته ملاحظاتي كقولي « ان طومسون لا راذرفورد هو مكتشف الكهبر » وقولي أيضاً « ان راذرفورد لا بوهر هو الذي أثبت أن كتلة الذرة موجودة في مركزها » وقولي « ان دقيقة ألفا تتركب من نيوترونات وكهارب وليس من كهارب فقط » قلت اذا اعتبر الأستاذ هذه الحقائق العلمية نوعاً من التاريخ والترقيم، فهذا بحث آخر .

ليتأكد الأستاذ قبل كل شيء انه عند ما فكرت في كتابة ملاحظاتي الأولى لم يحل بخليدي على الاطلاق أن أتهمهم أو انتقص من مكانة أستاذ جليل ، ولكن الوازع الوحيد الذي دفعني اليها هو حب التعاون الصادق على تمحيص الحقائق في حدود الكياسة والزاهة ، والتنويه بأن القضايا العلمية وخاصة الحقائق الطبيعية والكيميائية لا تقبل التسرع ولا تحمل السهو . وليس من المعقول أن يكون السبب في تعليقي على مسائل أولية بسيطة هو جهل أستاذنا بها ، ولكنه لتصوير بشاعة السهو العلمي وخاصة من كبير كحداد نعمة في الرعي الأول من ثقافتنا ومراجعنا العلمية ، وتعودنا أن نحسب أقواله في مثل هاتيك البحوث حجة لا تنقصها الدقة والتثبت ولا يمتورها السهو والتسرع .

قال الأستاذ انني ذكرت الجملة « ان بوهر برهن على ان الكهارب تتوسط الذرة كنواة في مركزها » وانني قد غضضت النظر عن بقيتها التي فيها ما أراد أن ينسبه الى بوهر ، وهي « ان بعض الكهبريات تقيم معها أي مع الكهارب في النواة والبعض الآخر تدور من حول

النواة على بعدٍ منها في أفلاك كما تدور السيارات حول الشمس . ان هذا واقع وهو ما أردته بالذات . فقد قرر الاستاذ حقيقتين مستقلتين عن بعضهما تمام الاستقلال : الأولى أن بوهر برهن على أن الكهات تتوسط الذرة كنواة في مركزها ، والثانية انه — بوهر — برهن على أن للذرة نظاماً فلكياً . أما الحقيقة الأولى فلم تكن صحيحة وقد علقت عليها في مقالتي السابق . وأما الثانية فلم أتعرض لها لتسليمي بها ، لأن بوهر برهن حقاً حينما طبق نوااميس كبلر الفلكية ونوااميس الكونتم على الذرة ، على أن لها — للذرة — نظاماً فلكياً . ولا أدري كيف يريد الاستاذ أن يفرض عليّ ويلزمني بأن أغالط وأنقد حقيقة أعترف بصحتها ليستقيم المعنى الذي أراده في الحقيقة الأولى مع ان كل منهما تعبر عن وجهة نظر خاصة ومعنى خاص . وعلى كل حال فالنظام الفلكي الذي قرره بوهر للذرة بنظريته ومعادلاته الميكانيكية ، قد طرأ عليه كثير من التبديل والتغيير بل يعتبره لقيف من كبار العلماء على رأسهم هيزنبرج وبورن بأنه لم يعد يفي بالغرض المطلوب من وضعه ، لأنهم لاحظوا ان فيه — النظام — ثغرة واسعة لا يمكن سدّها بحال مما اضطرهم الى ابدال الميكانيكيات البوهرية بأخرى جديدة دعوها الميكانيكيات المتركسية Matrix Mechanics وربما وافينا القراء إذا سمحت الظروف ببحث خاص مفصل عن قصة الميكانيكيات الذرية .

لقد بان لي أن حضرة الاستاذ وافق على تعليلاتي إلا واحدة منها مهمة — المادة والأشعة الكهربائية في أشعة الراديوم — والآخر « الأشعة الكهربائية أو المسادة المتوجة » يتفرّع عنها بحوث واسعة دقيقة لم يستطع العلم إلى الآن البت في كثير منها والقطاع بصحة خواصها وهي كما أسلفت في مقالتي السابق أبحاث بكر تتضارب فيها الأقوال ولم يستقر رأي العلماء فيها على قرار حاسم ، وآراؤهم في ذلك مبتسرة أقرب الى النقاش الفلسفي العلمي منه الى البحث العلمي الصرف الذي يعتمد عادة على الأساليب التجريبية . ولكي نتفهم جيداً نقطة الاختلاف بيننا نعود بالقارئ الى قول الاستاذ بهذا الشأن في مقاله الأسبق وما يلي نصه :

« لا يخفى ان الأورانيوم هو رأس العناصر ذات الاشعاع Radiation ويليه الثوريوم فالأورانيوم فالراديوم . والأورانيوم يتحوّل إلى ذلك فذاك فهذا على التوالي وأخيراً يتحوّل إلى رصاص . وعملية التحول هذه تحدث بأن يتناثر كل عنصر من هذه العناصر من

تلقاء نفسه تدريجياً كهارب وكهربات على التوالي حتى تصبح ذرة العنصر الأعلى ذرة العنصر الذي تحته أي أن كل عنصر يذوب رويداً على هذا النحو. والكهربات والكهربات تتناثر وتنطلق فوتونات أي ضوئيات حاملة حرارة ونوراً كما هو مشاهد في الراديوم « اه . إن الأستاذ يعترف هنا بأن الأشعة المنطلقة من الراديوم هي ضوئيات . وقد فندت له في مقالي السابق أنواع هذه الأشعة وقلت بأن النوع الأول وهو جسيمات ألفا - نوى الهليوم - لا يمكن أن نسميها بحال ضوئيات ، وتساءلت حينئذٍ مستغرباً كيف يجوز لنا أن نقول عن أجسام مادية لها وزنها الخاص كالهيليوم إنها ضوئيات . فكان جواب الأستاذ على ذلك « من قال أنه يجوز ؟ حقاً ليست ضوئيات وما هي إلا نوى عنصر الهيليوم » فكانه بذلك أنكر قوله السابق وراح يتنصل منه . اعترف أولاً بأن أشعة الراديوم هي ضوئيات ثم سحب اعترافه عندما رددت عليه وقلت بأن أشعة ألفا لا يمكن أن تكون ضوئيات . ثم فندت له أيضاً النوعين الآخرين من تلك الأشعة وقلت إن النوع الثاني أشعة بيتا - الكترونات - هي أيضاً دقائق مادية وليست ضوئيات وتصبح ضوئيات عندما تقف شحنتها الكهربائية . وما دامت لها شحنتها السالبة فإنها ليست بضوئيات . وأما أشعة غاما النوع الثالث فهي ليست دقائق مادية ، وإنما هي أشعة كهرومغناطيسية من قبيل أشعة اكس وهذه هي الضوئيات فقط . فهل تدري ماذا كان رد الأستاذ على ذلك أيضاً ؟ قال ما نصه :

« والغريب أن حضرة الأستاذ يوافق على قولي أن النور الذي نشاهده في الراديوم ليس إلا فوتونات « شيء عجيب حقاً ! إنني لا أدري من أين جاء الأستاذ بهذا النص الذي زعم بأنني قلته وأنا في الواقع لم أقله بل بالعكس كان همي دحضه كما هو واضح من مقالي السابق . ومن يدري ؟ فلعل شيطان السهو عمل بيده تشويهاً وقلباً لتلك الحقائق . ومهما يكن من شيء فإنني لا أستطيع من باب الكياسة واللباقة أن أعيد للأستاذ تلك الكلمة النابية « يخلط » التي تجنى علي بها دون ما حق أو مبرر لأنني لم أتصد كما صرح حتى ولا بطريق التلميح إلى المقارنة بين الأشعة Rays والاشعاع Radiation

والغريب أيضاً أنه في نفس الصفحة بل في نفس القطعة يعود الأستاذ فيناقض قوله هذا ويوافقني على رأيي في أشعة الراديوم ولكن دون اعتراف صريح منه فيقول ما نصه

« فالنور والحرارة اللذان يلحظان في تشعع الراديوم هما أشعة غمّا فقط (فوتونات) وأما أشعة ألفا وبيتا فليست أشعة نور وحرارة البتة إلا اذا التحم الفريقان فيما هما صادران من كتلة الراديوم وتنافت كهربيتهما وتحولا الى فوتونات». ومن يرجع للملاحظات في المقال السابق يدرك بأنني استبعدت وأنكرت بأن تكون أشعة ألفا وبيتا ضوئيات، بل حصرتها في أشعة غمّا فقط وهو عين ما أتى به الأستاذ في سبيل الرد عليّ. وبما أنه وافق على قولي بطريق غير مباشر ولا يعني أن تكون الموافقة صراحة أو ضمناً مادام هدفنا هو تمحيص الحقائق — أقول ما دام الأستاذ وافق على أن أشعة ألفا وبيتا ليست ضوئيات فتصبح نقطة الاختلاف بيننا محصورة في تعريف أشعة اكس أو غمّا أو كل أشعة كهروطيسية في الكون. وعلى هذا الاختلاف دار معظم مقال الأستاذ كما هو ملاحظ فيه.

قلت إن معظم رد الأستاذ كان يدور على نقطة واحدة وهي قولي « إن أشعة غمّا ليست كأختيها دقائق مادية، وإنما هي أمواج كهروطيسية من قبيل أشعة أكس وهذه هي الضوئيات » وهنا أرانا الأستاذ عرضاً سريعاً راءياً للمادة وخواصها والأشعة وطواقيها والطاقة وأصلها وتحولاتها من صورة الى صورة. وقد استهجن قولي أن أشعة غمّا ليست دقائق مادية، حقاً إن أشعة غمّا وكل أشعة (نورانية) سواء أكانت مرئية أم غير مرئية هي مادة ولكن الذي قصدت أن أقوله هو أن أشعة غمّا ليست دقائق مادية بالنسبة الى المادة التي يفعل فيها المغنطيس فعلة وبالتبعية بالنسبة الى الضربين الآخرين من أشعة الراديوم الفا وبيتا. فهذان النوطان من الأشعة مادة، وأشعة غمّا مادة أيضاً، ولكي أقرب الى الأذهان الفرق والتمييز بين صنفى المادة سقت الفرق الذي تقره الطبيعة الكلاسيكية — ولا يقره العلم الحديث — أي أن المادة في نظر الطبيعة الكلاسيكية هي التي تتأثر بفعل الجذب المغنطيسي والأشعة هي التي لا تتأثر به، انني لأدين بهذه الحقيقة لأن الضوئية — أشعة غمّا — هي مادة أيضاً خالية من الشحنة الكهربائية ولكنني قلت ما قلت لأسبب الآنف الذكر فقط. نعم أن أشعة غمّا — الضوئيات — أو الطاقة المتموجة، هي مادة بلا شك وأول من طبق نظرية الكونتم على الضوء هو الأستاذ العلامة اينشتين Einstein سنة ١٩٠٥، وعلى ضوء الأبحاث التجريبية التي قام بها الأستاذ لينارد وغيره من العلماء في طبيعة الطاقة المشعة Radiant energy والظاهرة المعروفة « بالفعل الكهرونوري Photo-electric effect » أتخفنا اينشتين بنظريته المسماة نظرية الضوء الكونتمية light quantum hypothesis التي تقول بأن الضوء دقائق مادية واحدها الضوئية Photon أيدها الأستاذان مير E. Meyer وجيرل W. Gerlach بالتجربة والبرهان العملي بعد عقد من السنين تقريباً سنة ١٩١٤. فعلى نواميس بلانك

الكونتية وتجارب لينارد بنى اينشتين نظريته في الضوء فقال ان الفوتون — الضوئية — هو دقيقة وفوق ذلك وحدة الأشعة، فوافق بذلك بلانك القائل بأن الطاقة المشعة التي تطلقها المادة أو تمتصها ليست شيئاً متصلاً كما قررت ذلك الطبيعة الكلاسيكية ، ولكنها منفصلة وقوامها وحدات من الدقائق المادية . ومنذ ذلك الحين صارت الغلبة لرأي نيوتن على هوجنس أي أن الضوء ذرات أو دقائق وليس بأمواج . فاطمأن العلماء الى أنهم قطعوا بصحة إحدى النظريات العلمية العويصة ، ولكن هذا الاطمئنان ما لبث أن تبدد فقد لاحظ العلماء أن ظاهرة التداخل النوري لا يمكن تعليلها بحسب نظرية الكونتم ، بل بحسب النظرية التجمعية فدبت الفوضى في آراء العلماء فاستنفهم الحيرة المقلقة . وفي غمرة هذه الفوضى طلع الاستاذ دي برولي De Broglie بعد أن أنار له السبيل كل من دافسون Davisson وجرمر Germer سنة ١٩٢٧ باكتشافهم الفد بأن دقائق المادة تتصرف كأمواج ، أقول طلع دي برولي على العلماء بنظريته الميكانيكيات الموجية Wave Mechanics التي تنص على ان دقائق الضوء — الضوئيات المنطلقة في الفضاء — تصحبها سلسلة من الامواج . وبذلك وفق بل دمج نظريتي نيوتن وهوجنس في نظرية واحدة ما زالت المقبولة عند العلماء .

والآن وقد عرفنا بأن الضوئية دقيقة مادية يتبادر الى أذهاننا سؤال خطير وهو « ما هو المصير المحتوم للضوئية في الفضاء اللامتناهي ؟ وهل يحتفظ دائماً أبداً بماديته ؟ .

ان العلم لا يزال حائراً وحاجزاً عن الاجابة الحاسمة والبت في هذا السؤال الخطير ، لأن مقتضياته بعيدة عن متناولهم ومختبراتهم وللعلماء في تحليل ذلك مذهبان ، فالجماعة الاولى ترى أن تلك الدقيقة المادية — الضوئية — هي المادة نفسها أي أن المادة والطاقة شيء واحد ويقولون أيضاً بأنه سيأتي يوم مهما طال وبعد تعود فيه الشحنة الكهربائية للضوئية فيصبح مادة مشحونة وتذهب الجماعة الثانية الى أنه يوجد فرق بين المادة والضوئية ، أي أن المادة شيء والطاقة شيء آخر أو بعبارة أخرى أن الضوئية سوف تبقى مادة خالدة سرمدية ولكن لا شحنة لها وبعض نفر من هذا الفريق يزيد فيقول بأن المصير المحتوم للضوئية هو الفناء — العدم — مهما طال الزمان لأن تلك الضوئيات تتسع دوائر أمواج طاقتها المصاحبة لها وتطول على مرور الأزمان ، وكلما طالت لطفت ورقت الى أن تتلاشى أخيراً وتنعدم .

فما تقدم يتضح لنا بأن العلم لم يحزم الى الآن في طبيعة الضوئية ومصيره وعند ما قلت في مقالتي السابق بأن هذه النظرية لا تزال لغزاً من ألغاز العلوم وأنه لا يمكن الاعتماد عليها كبرهان على صحة ما يقال لأن ذلك — على الأقل الآن — سابق لأوانه ، كنت على حق .

الذسيم

ليت للدهر بعض لينك أنتا فيما رحمة من الله لنتا .
 قد ترنحت دافلاً في أريج من زهور صانت هواك وصننتا
 وسكننا إليك لما تحرك ست عيلاً ، فهل إلينا سكتنا ؟
 يصبغ الشيء حين يعتل ، لكن لك لما أن اعتلت حسننا
 يارسول الزهور ، أطف من بلد غ عنها رسالة الطيب ، أنتا
 أنت في وحدة ، ونحن مع النار من ، ولكن خفنا السرى وأمنتا
 تمتطي صهوة الدجنة في التبع ليغ عنها ، ولو وهنت لهنتا
 يا أميناً على الهوى ، أغصن البا ن أبانت من الهوى ، وأبنتا
 عانق الفصن في يديك أخاه واستعانا على الهوى فأعتنا
 أعناق بدون إذنك ؟ كلاً بل هما استأذنا ، وأنت أذنتا
 يا غريباً لجئت به لجة الغر به ، قل لي أكرمتها أم أهنتا ؟
 يا حليف السرى أتبعني مقراً أم مفراً منّا الى حيث كنتا ؟

نظرية النمو الذاتي

ونَهضة إحياء العلوم في غربي أوربا

قبل أن يظهر غلاة العنصر النوردي ظهرت طائفة من المؤرخين تمجد القبائل التيوتونية التي طغت على الدولة الرومانية الغربية وأسست دول غرب أوربا الحديثة . وهذه الطائفة تؤكد نمو العقل في غربي أوربا نمواً متصلاً متدرجاً قبل نهضة إحياء العلوم، وتعلله بأنه كان نمواً ذاتياً وتشيدُ باستعداد هذه القبائل لتنمية الحضارة والثقافة . وقد يفهم القارىء من مؤلفاتها أن تلك النهضة لم تكن ثورة فكرية على الماضي ما دامت لها سوابق وحلقات متصلة أو منفصلة، وما دامت لها مراحل قبلها من نوعها، كما قد يفهم أن ذلك النمو الذاتي يقلل من أثر المؤثرات الخارجية . والحقيقة هي أن كل نهضة كبيرة في حياة الإنسانية كانت نمواً ذاتياً متدرجاً . ولكن عند حدٍّ معين تتعاضم المؤثرات وتتعجل نتائجها فتصير انقلاباً أو ثورة على الماضي كما إن النمو الذاتي لا ينفي عظم المؤثرات الخارجية ، فنمو الإنسان الذاتي أو نمو الشجرة، لا ينفي إفادتهما من غذاء وماء وضياء ، وكلها أمور خارجة عن كيانهما . وإذا تتبعنا الثقافات والحضارات قديمها وحديثها وما يعتورها من تغير وانقلاب وجدنا أن النمو الذاتي ملحوظ في القديم منها والحديث ، ولكنه لا ينفي أن تكون مشتقة من ثقافات سابقة ولا ينفي أن تكون المؤثرات الخارجية السبب في كل مرحلة من مراحلها، كما كان الحال في نمو الثقافة في غربي أوربا من عهد العصور المظلمة إلى عصر نهضة الإحياء ، فتأكد فكرة النمو الذاتي في تحليل نهضة الإحياء في غربي أوربا بصفة خاصة فيه شيء من المغالطة إذ مهما عظمت المؤثرات الخارجية ومهما عظم الاقتباس من الثقافات والحضارات الأخرى ، فلا بد لكل ثقافة من نمو ذاتي، لأن القائمين بالحضارة والثقافة مخلوقات حيّة نامية، وتورث نموها الثقافي . وهذا النمو الذاتي شأن الحضارات والثقافات، حتى المصطنعة المتكفلة القليلة الحيوية

فكيف لا يكون شأن الثقافات الكبيرة في الأمم العظيمة الاستعداد للنمو الثقافي . ولكنه مع ذلك لا يمنع من الاعتراف بأن كل ثقافة مستمدة من ثقافة سابقة ، ومهما كان استعداد قبائل التيوتون التي أسست دول غربي أوروبا لتنمية الثقافة ، فانه من المغالاة في التعصب للعنصر والجنس تهوين المؤثرات الخارجية ، وكأن غلاة العنصرية يريدون أن تشذ حضارة غربي أوروبا عن القاعدة العامة . ولا شك أن النمو الذاتي في ثقافة غربي أوروبا مدين للحضارة والثقافة الرومانية والاعريقية والعربية ، وكل ثقافة من هذه الثقافات مدينة لحضارات أمم كثيرة سبقتها ، فكان الاغريق أساتذة الرومان من عهد اتصال الرومان بهم في مستعمرات الاغريق في جنوبي ايطاليا الذي كان يسمى بلاد الاغريق العظمى (ماجنا جريشيا) الى أن غزا الرومان بلاد الاغريق في البلقان والشرق . ومن أجل ذلك صارت الثقافة التي نشرها الرومان في غربي أوروبا تسمى الثقافة الاعريقية الرومانية (جريكو رومان) وقد قضت قبائل التيوتون في العصور المظلمة على الكثير من معالم هذه الثقافة . ولكن بقيت بقية ظلت تنمو الى عهد النهضة . فلا استعداد التيوتوني للثقافة لم يكن يعمل في فراغ من الثقافة والحضارة . وعندما أسقطوا الدولة الرومانية الغربية ظلت الكنيسة المسيحية قائمة تنشر دعوتها بينهم وكانت ثقافة علمائها اغريقية رومانية ، فقد نشأت المسيحية أولاً بين اليهود في عصر صادت فيه الثقافة الاعريقية في الشرق . وكان علماء اللاهوت يعتمدون على الفلسفة الاعريقية في محاولة تقرب العقائد المسيحية الى الأذهان ولو أنهم كانوا يفسرون آراء فلاسفة الاغريق تفسيراً يطابق عقائدهم . وقد استحوذ علماء المسيحية على ارسطوطاليس ففسروا آراءه فيما وراء الطبيعة تفسيراً يناسبهم واتخذوا من منطق اداة للحاجة الدينية ، ولكن ذلك المنطق كان رياضة كبيرة للعقل ، بالرغم من محاولتهم قصره على ما يوافق عقائدهم .

وبالرغم من أن ارسطوطاليس كان اغريقياً من اليهود السابقة للمسيحية ، فقد كاد يُبعد الخروج على قوله حسب تفسيرهم حدائهم عظيماً ، وقد خرج عليه أمثال روجر باكون الانجليزي

ولكنه خرج على أرسطوطاليس الباحث عما وراء الطبيعة لا على أرسطوطاليس الباحث عن خصائص الأشياء والأحياء ، وكانت لغة التعاليم اللاتينية . ولكن مادتها مشتقة من الثقافة الإغريقية ، وولوع روجر باكون بالبحث العملي مشتق أيضاً من ثقافة الإغريق وتلاميذهم من العرب . كل هذا يدل أيضاً على أن استعداد التوتون الثقافي في غربي أوروبا لم يكن يعمل في فراغ ثقافي ، وكانت أمم غرب أوروبا بين حضارتين : الحضارة البيزنطية الوارثة لثقافة الإغريق وكتبهم ، والحضارة العربية الوارثة لثقافة الإغريق والفرس والهند . فكان غربي أوروبا تحتضنه حضارتان علاوة على مخلفات الرومان . وينسى الذين يحاولون تهوين المؤثرات الخارجية أثر هذا الاحتضان والاكتشاف في جميع الثقافات من أقدم العصور كما يتناسون الأدلة اللغوية من أسماء تدل على اقتباس أهل غربي أوروبا الصناعات والفنون والعلوم ، ويتجاهلون الكتب التي كانت تدرس في جامعات غربي أوروبا في القرون الوسطى وأسماء مؤلفيها من الإغريق والعرب .

* * *

ومن الغريب أنهم يفعلون ذلك بحجة الدقة في البحث العلمي والتمحيص ، ولكن ليس من الغريب ذلك التناسي الذي يستوي فيه العالم والجاهل ، فانه من الحقائق المقررة في علم النفس أن النفس تنسى ما تود نسيانه ولو كان معروفاً ، وهذا أمر مشاهد في أمور الحياة اليومية . وقد انتقاد لهذا المذهب بعض كبار الأساتذة الذين يخشون أن يتهموا بقلّة نصيبهم من الدقة في البحث وهم على نصيب وافر منه ، وهذا أيضاً أمر مشاهد في أمور الحياة اليومية . وقد انتقاد لهذا المذهب بعض كبار الأساتذة الذين يخشون أن يتهموا بقلّة نصيبهم من الدقة في البحث وهم على نصيب وافر منه ، وهذا أيضاً أمر مشاهد في الحياة . وليس بين المؤرخين من ينكر فضل جامعات القرون الوسطى أو المراحل التي سبقتها في تنمية ثقافة غربي أوروبا ، ولكن الذي ينكر حقاً تفسير نظرية النمو الذاتي تفسيراً يخالف الحقائق بتجاهل الحقائق وتناسيها وتهوين أثر المؤثرات الخارجية في نمو الاستعداد الثقافي في غربي أوروبا . وقد ظل القليل من علماء غربي أوروبا علاوة على ذلك يلم بعض الامام باللغة الإغريقية أو الكتب القليلة

المنقولة عنها مباشرة قبل النقل عن العرب . وكان تجار مدن ايطاليا على اتصال بالثقافة
الاغريقية القديمة في بيزنطية . وأغارت البندمية بجيش من الصليبيين على الدولة البيزنطية
وأُسست بها دويلات ما لبثت أن زالت . وقد بدأ انتقال أدباء بيزنطية بكتبهم الى ايطاليا
قبل استيلاء الأتراك العثمانيين على القسطنطينية . فالاتصال بين غربي أوروبا وبين كتب
الآغريق القدماء لم ينقطع انقطاعاً تاماً لا في وقت السلم ولا في وقت الحرب . ومن المعروف
أن بعض مشاهير غربي أوروبا تعلموا في مدارس العرب ، وعند ما استولى الفونس السادس
ملك قشتالة على طليطلة وجد ثقافة عربية متصلة بالثقافة الاغريقية القديمة وكان يغتبط
ويسر بأن يسمى حامي الثقافة وراعيها ، وذلك قبل عهد اضطهاد الاسبان للعرب . وقد ترجم
ريموند رئيس أساقفة معهد الترجمة كتب الثقافة العربية وسام اليهود في هذه الترجمة كما
أن بعضهم انتقل إلى جنوبي فرنسا ونشر فيها الثقافة العربية . وعند ما ورث الامبراطور
فردريك الثاني مملكة النورمان في جنوبي ايطاليا وصقلية أسس جامعة في نابلي واعتمد في نشر
الثقافة على عرب صقلية ويهودها ، وانتشرت الحركة الفكرية في بولونا وبادوا من جامعات
ايطاليا وفي مونبلييه وباريس وجامعات إنجلترا ، وكانت تدرس كتب ارسطوطاليس وبعض
كتب افلاطون وأفلوطين وفرفوريوس الصوري وأبقراط وجالينوس وابن سينا والفارابي
والرازي وابن رشد وابن باجة وغيرهم . ومن الظلم تهوين أثر الكتب الاغريقية بأن يقال إن
البحث عنها يدل على نضج الذهن قبل الاستعانة بها ، فراحل هذا النضج من أثرها . ومن الظلم
تهوين أثر الثقافة العربية بأن يقال إن بعضهم أخطأ في فهم أو نقل بعض آراء الآغريق أو
أنهم اشتغلوا بمحاولة تحويل المعادن الى ذهب أو بالتنجيم فقد كشفوا في الفلك والكيمياء
والطب وأدخلوا في الصناعات والزراعات أشياء كثيرة لا تزال أثمارها العديدة في اللغات
الأوربية مشتقة من العربية ، وغيرها وضعت لها أسماء جديدة . والخلاصة هي أن النمو
الذاتي لا ينفي عظم المؤثرات الخارجية ، وإنه أمر ملحوظ في كل نهضة ثقافية لا في غربي
أوروبا وحده ، وإن نهضة الإحياء بالرغم من مراحل نموها كانت ثورة فكرية شديدة ولدت
اللمع والربيع لبعض عواقمها .

فشل دعاة الانقلاب

يخطئ المصلحون الثائرون على النظم الاجتماعية أو الاقتصادية ، عندما يحملون معاوهم لهدم الأسس التي ينهض عليها النظام الاجتماعي القائم الذي اشتركت في اقامته ديانات ووراثات وعقول وأجيال ومدنيات مختلفة ومتباعدة ، حتى استقرت الأوضاع على القسيم الموجودة الآن .

قد يكون بعض هذه القسيم أو الأسس نتيجة أخطاء أو تكون هي في ذاتها قيماً معوجة . ولكن الحياة قد تفاعلت معها فألفتها وسارت وما زالت تسير عليها . فالحرب والشر والآنانية والآثرة وما إليها من الأسس التي لا يختلف إنسان في ضررها ، كل هذه ضرور لا شك فيها ، ولكنها مع ذلك من أسس الحياة التي لا يمكن محوها من التكوين الاجتماعي مهما حاول البشر أن يتخلصوا منها ، بل إن العالم كلاً حاول أن يتخلص أو يعمل على الفرار منها دفعته أنانيته وطبيعته تكوينه إلى الاقتراب منها والانغماس فيها .

فالمجتمع في وضعه الحالي ، رغم ما فيه من أسس ونظم لا تطاق ، ورغم ما فيه من ضرور واعوجاج ، ليس إلا آلة فيها من العيوب الشيء الكثير . ولكنها مع ذلك آلة تدور وتؤدي عملها . بل قد تكون هذه العيوب التي تراها من الأسباب الجوهرية لإدارة هذه الآلة .

فعلى الثائرين على نظامنا الاجتماعي أن يفكروا قبل أن يُفكروا آلة الحياة ، وقبل أن يفكروا أجزاءها ، عليهم أن يفكروا جيداً وأن يترشوا فيما هم مقبلون عليه من هدم لا بناء بعده ، عليهم أن يفكروا هل يستطيعون أن يعيدوا أجزاء هذه الآلة سيرتها الأولى ؟

من السهل أن يمسك الطفل آلة أو ساعة فيحل أعضائها وتروسها . ولكن من العسير أن يعيدها ثانية إلى ما كانت عليه . فعلى المفكرين الحائرين وعلى قادة الرأي الثائرين الذين

حسبوا القدرة في أيديهم على إصلاح العالم بتغيير نظمهم بما في رؤوسهم من أفكار هادمة ،
عليهم أن يفكروا أولاً هل في استطاعتهم بناء عالم جديد ؟
نعم ان كل مفكر إنقلابي يستطيع أن يبني عالماً جديداً ولكن على الورق أو في خياله
الحائر النائر . من السهل أن تكون مصاحفاً خلافاً تبعث النظرية تلو النظرية خلقاً عالم جديد .
ولكن من المحال أن تنفذ شيئاً من خيالك الخصب الحائر . ولقد أصيب هذا العصر الذي
نعيش فيه بالحيرة والتردد نتيجة للدوار الذي أصاب الأمم بعد حربين فائتكتين وبعد انقلابات
اقتصادية واجتماعية هزت أركان الوجود . فالأمم الآن مصابة بدوار كما يصاب المسافر في
البحر بدوار يعرفه بالدنو من الهلاك .

فن الخطر أن تستمع الأمم وهي في هذه الحال من الدوار والقلق والحيرة إلى الآراء
الانقلابية الشاذة . من الخطر أن تضع الأمم حظوظها ومستقبلها وأمنها وقيم مدنياتها تحت
سيطرة قادة لهم نزعات انقلابية هي نتيجة تفكير مريض أو وحي شاذ أو تشاؤم هادم ،
فهؤلاء القادة قد أصابهم ما أصاب العالم من دوار وقلق وحيرة وتشاؤم ، ولهذا فليس من
البصيرة في شيء أن يستقبل العالم آراءهم إلا كما يستقبل آراء المجنون أو المريض .
ان الحياة لا تخضع لعمل الانسان . لأن الانسان إنما هو ذرة في كيان الحياة نفسها .
وإذا كانت الطبيعة البشرية في تغيير مستمر ، فليس هذا التغيير في طبيعة الحياة أو في
قوانينها وإنما هو في مظاهرها فقط فلا يلبث هذا التغيير أن يتراجع حتى يعود من تلقاء ذاته
من حيث بدأ — فالظفرات الانقلابية التي جاءت نتيجة المبادئ العنيفة أضر حرب أو حيرة
اجتماعية طارئة ، لا تلبث أن تخبو وتزول . ولكن يعد أن تترك آثاراً رجعية في الحياة
الاجتماعية كالعاهات المستديمة التي تنشأ في جسم من يصاب بها في عراك عنيف .

لقد نشأت بعد الحرب العالمية الاولى نزعات سياسية واقتصادية عنيفة . فكانت البلشفية
ثم النازية واستقبلتها الأمم وهي في حالة دوار أصابها بعد حرب طاحنة . فلم يكن للتفكير
الهادئ من سبيل إلى هذه الأمم ، فذهبت ضحيتها ، ما في ذلك من هلك .

ولقد عشنا ورأينا انهيار النزعات النازية . لقد انهارت لأنها نزعات ضعيفة في مادتها ، ولكنها انهارت لأنها نشأت عنيفة هدامة لتنظم الحياة المستقرة في طبيعة الكائنات . انهارت لأنها قوية بمادتها ضعيفة بروحها . انهارت لأنها نتيجة تفكير أناني مريض . أليس النازية تنفيذ دعوة الفيلسوف فريدريخ نيتشه الذي بشر بفلسفة القوة والسيطرة ؟ أوليس هذا الفيلسوف رجلاً مريضاً لا ينكر أحد أنه عاش طول حياته متنقلاً في المصحات يقاسي الآلام ، حتى قرّر الأطباء أنه مجنون لا يرجى له من شفاء .

ولهذا كانت جميع آراء هذا الفيلسوف لا تخلو من أثر المرض والاعوجاج والشعور بالضعف ، فكانت وحي ألم وحيرة وحرمان . ولهذا جاءت تدعو إلى ما حُرم منه صاحبها من قوة وصحة وسيطرة . فنشأت النازية نشأة مريضة ، فدعت دعوة غير طبيعية إلى السيطرة والعنف والأنانية . وجاءت والعالم في حالة دوار بعد الحرب العالمية الأولى . فلم يفكر الزعماء يومئذٍ تفكيراً هادئاً سليماً ، بل فكروا تفكيراً منقاداً لعوامل غير طبيعية ، فكانت كارثة إذ تقررت النازية نظاماً لامة عتيقة من أمم الدنيا ، فسارت هذه الامة سيراً منحرفاً عن طبيعة الحياة حتى اصطدمت بحقائق الحياة الجبّارة فانهارت انهياراً قاسياً عنيفاً .

وكذلك الحال في الفاشية ظهرت في الامة الايطالية عقب انقلاب نفسي أصاب الشعب الايطالي من دوار الحرب الماضية . فكان نظاماً مغروراً لا يستقر على طبيعة الحياة في ايطاليا ، ولا يستقيم مع عقلية الشعب الايطالي ، بل أخذ هذا النظام ينفخ في الشعب الايطالي حتى أوجد منه جسماً مكبراً مملوءاً بالهواء لا يحتوي على شيء غير الوهم ودجل الزعماء . فذهبت ايطاليا ضحية قائد مجنون لم يعرف نفسية الشعب الذي يتولاه .

فن الخطر على النظم الاجتماعية وعلى العدالة ذاتها أن تستقبل الأمم دعوة انقلابية جديدة وهي في حالة نفسية غير مستقرة . فالعالم الآن في حالة دوار نتيجة الحرب الاخيرة ، وفي حيرة وقلق وتردد وتشكك . فليس من العدالة للانسانية أن يبدأ دعاة الانقلاب ببذر مبادئهم تحت ستار النظريات الاقتصادية أو الاجتماعية الجديدة ، لأن العالم في هذه الفترة

التي نعيش فيها مصاب بدوار شديد ، وقلق مرير ، وحيرة مترددة ، فهو في حالة غير مستقرة لا يستطيع معها أن يتبصر الأمور أو يمتحن منها خيرا أو شرا .

فهؤلاء الدعاة الذين يسمون أنفسهم بما شاءوا من ألقاب ، فيدعون لازالة شرور الحياة من حرب وفقر ، انما هم في الحق قوم يدجلون ويغالطون الأمم ويتربصون بها وهي في حالات نفسية قلقلة . لانهم لن يستطيعوا محو الفقر والحرب لأن الخير والشر عنصران متلازمان في الحياة لا يمكن محو واحد منهما .

فالعيوب التي نراها في الحياة انما هي قوانين ملازمة لقوانين مضادة لها . فهي كالسلب يقابله ايجاب . أو بعبارة أخرى هي كالتيار الكهربائي لا بد لانتاجه من تفاعل بين شيئين متضادين . فاذا انقرد الخير في الحياة كانت الحياة أنشودة تعلو الى السماء لا نستطيع أن نسير على الأرض في ثبات وقوة . وكذلك اذا استبدت الشر بالحياة كانت الحياة جحيماً لا يطاق . فمن العبث أن نحاول محو الحرب أو الفقر . ولكن من الواجب الانساني أن نصرف جهودنا وما فينا من نزعات للخير الى معالجة أثر الفقر وتخفيف ويلاته . وان نؤجل دائماً نزعات الحروب ونبعد عنها قدر الطاقة عن طريق الحياة . وان نثير في الناس عوامل الخير والمحبة ، وأن نعمل على مقاومة الآثرة والانانية . فواجب علينا أن نعالج أثر الفقر ، ولكن لن نضيع جهودنا في الادعاء بمحو الفقر ، فلن نستطيع قوة بشرية ازالة نظام طبيعي مقرر في كيان نظام الحياة . فالحياة لن تستطيع أن تسير إلا بتباين الطبقات واختلاف المواهب والمقدرة على الانتاج ، والتساوي في هذه الحال حكم غير بريء لا يتفق مع العدالة الاجتماعية نفسها .

وكذلك الحرب ويلٌ وشرٌ ومقتٌ وجوعٌ ودمٌ وانتقام . ولكن لا مفر للحياة منها . قد رأينا وقرأنا أن العالم لا يكاد ينتهي من حرب حتى يتجه الى حرب جديدة تأتي من طريق الذين قاوموها وقاسوها . بل إن الدعوة الى السلام عملٌ شاذٌ في ذاته ، وان كان جميلاً في دعوته . ودعوة السلام قد تؤدي الى حرب ، لأنها دعوة لا تطبقها طبيعة الحياة المنطوية على الانانية والسيطرة والحقد والاضداد جميعاً .

فالحياة مجموعة أضداد لا شك في هذا ، وهي تسير وفق التفاعل المستمر بين كل ضدّين .
ولقد أصبحت هذه الأضداد شرائع تسير عليها الحياة ، فالذين يريدون أن يخلقوا من هذه
الشرائع شريعة واحدة ذات صيغة واحدة ، إنما يعالجون جانباً من الحياة دون جانب آخر .
فالمصلح أو السياسي الذي يدّعي أنه يعالج نحو الاجرام أو الحرب أو الفقر ، إنما هو رجل
نظري أو فيلسوف لا أثر للحياة العملية في تفكيره إلا من حيث الشكل فقط .

فالذين يدعون الى نحو الحرب يغالطون أنفسهم ويغرّرون بالناس جميعاً ، والذين بدءوا
في أوروبا دعوتهم الاقتصادية المشتركة قد فشلوا وهم يسرون الآن دون وعي منهم الى توطيد
الملكيّات الفردية وهدم ما قال زعماءهم بالأمس ، بل انهم يتكلمون في صراحة عن وحي لتفكير
امبراطوري قائم على الغلبة والسيطرة . وهذا يتنافى مع طبيعة دعوتهم الاشتراكية الاولى التي
بدءوها منذ أعوام . والذين يبشرون بزوال الحروب نراهم في قلق من دعوتهم فيدعون الى
سلام مسلح ! . فاذا كان السلام لا يعيش على الارض إلا في حماية السلاح والدبابة والطائرة
والغواصة والقنبلة الذرية ؟ فأى سلام هذا الذي يرفرف على الحياة ؟

فالعالم يعيش في هذا العصر في حالة حيرة وتردّد ودوار مما أصابه من ويلات حرب
دامت سنوات طويلة . العالم الآن مريض يعاني الآلام المختلفة وقد أصاب سوء الظن جميع
زعمائه فلم يعد واحد يثق في الآخر . ولم يعد واحد منهم يستطيع أن يتجرد من النزعات
الانسانية التي بدأت بها الحروب الماضية . فهل من الخير للعدالة والانسانية أن يقوم نفر
من الدعاة للتبشير بمبادئ جديدة لا يستطيع العالم الحائر المريض المتردد أن يفكر فيها ، وان
يفحص وجهي الخير والشر منها ؟ . ليس من شك في أن هؤلاء الدعاة هم أخطر المعاول التي
بدأت تهدم في كياننا الاجتماعي وواجبنا أن نقاوم هذه الدعوات وان نعمل على علاج ما
أصابنا من أمراض قبل أن يفتك بنا المرض ويتسع علينا الامر .

محمود المنجوري

الهالوك الحديث للحشرات

أو، كلورو - ديفنيل - تريكلورو - إيثان

الهالوك ، في القاموس ، سمُّ الفأر ، ولذا اخترت هذا اللفظ علماً على المسحوق العصري السام الذي صأصفه في هذا المقال ، وهو خلاصة مما نشرته المجلات العلمية الأجنبية : -

كان أول نبأ قرأناه ، بشأن هذا الهالوك ، ما روته الجرائد في أوائل سنة ١٩٤٤ إذ شرعت قوات الدول المتحالفة في الحرب الخالية ، تعفر به أهالي نابولي ، من هامات رؤوسهم الى سيقانهم ، بغية إبادة القمل من أجسامهم ، وكان هذا الهالوك يجلب من أمريكا بالطائرات ليستعمل في تطهير الايطاليين . فطهروا به مليوناً وربع مليون منهم في ذلك الثغر وحده . فأتيح لهم بهذه الوسيلة قمع وباء حمى التيفوس ، الذي كان يهدد السكان جميعاً . وكان هذا المسحوق السري الجديد المبيد للقمل يسمى د . د . ت . ولا جدال في كونه قد أتى بالفائدة المنشودة . وهذا الى جانب إهلاكه لحشرات لا تحصى ، مما يحيط بالناس ، فينقص عليهم عيشهم . فاذا ما رشَّ امرؤُ بعضاً من هذا الهالوك ، على أي ذرَى ^(٢) مما يستدري به في مسكنه ، فانه يقتل كل ذبابة تمشي عليه . ويدوم هذا المفعول ثلاثة أشهر ، ولو عالجت به بطانية صوفية ففسلتها ثم جففتها وكررت هذا العمل الثلاثي ، ثلاث مرَّات ، ثم جئت بخمس وعشرين عثة ووضعتها على شقة من البطانية عينها ، لا تزيد مساحتها على ثلاث عقد أصبع ، فانها لا تلبث أن تهلك بدلاً من التهامها وبر البطانية .

(١) تفضل بالاطلاع على هذا المقال حضرة الاستاذ محمد سلمان الزهيري بك مدير قسم الحشرات بوزارة الزراعة فقرر أن كل ما ورد به ، صحيح بحسب ما أسفرت عنه المباحث والتجارب المصرية

(٢) الذرى ، وزان الحصى — كل ما يستتر به الشخص . وتدرت بالشيء استترت به . ويقال أنا لى ظل فلان وفي ذراه أي كنفه وستره ودفنه . واستدري بالشجرة استظل بها وصار في دفنها . واستدري بفلان التجأ اليه وصار في كنفه . ويسوغ أيضاً استعمال كلمة دريئة (دروة)

وإذا رششته في حديقتك مرة واحدة ، قتل الحنافس اليابانية قتلاً يستمر أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، وإذا رششته على البق استأصل شأفته من الأثاث القديمة جميعها ، وليس هذا فحسب ، بل قد يدوم تأثيره تسعة أشهر على الأقل فلا تظهر في الفراش أية بقعة جديدة في خلال هذه المدة .

ويعتقد علماء الحشرات التابعين لحكومة جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، الذين عهد إليهم في دراسة تأثيرات د . د . ت . انه من أصلح المواد التي أثمرتها الحرب العالمية لأزمان السلم . وبلغ من إعجابهم بمخطورة شأن نتائجه أن شبهوها بفوائد العلاج بعقاقير السلفانيلاميد والبنيسيلين .

ومما ينبغي ذكره إثباتاً للحقائق التاريخية والعامة ، أن هذا المركب المبيد للحشرات ، قد تم اختراعه في ألمانيا منذ سبعين سنة . ومخترعه شابٌ ألمانيٌّ تخرج في إحدى جامعات بلاده ، ولكن لم يكثر له الناس (أي الهالك) من ذلك الحين حتى حل فصل صيف سنة ١٩٤٣ . وكذلك لم يكن مخترعه يدري مبلغ ما سوف يجنيه الملاء من منافع مسحوقة في الجيل الحالي . وما يقال بشأن هذا المخترع ينطبق أيضاً على هتلر والشركة السويسرية التي تصنع المركب عينه ، وهي شركة جييجي المتحدة Geigy Inc التي نالت رخصة بصنعه في سنة ١٩٣٩ بصفتها كونه مبيداً للعث والسوس بيد أنها لم تستطع استغلاله كما يجب . فحدث قبل سنة ١٩٤٢ أن قام كبير جراحجي الجيش الأمريكي ، ووزارة الزراعة الأمريكية ببحثٍ مستفيض بغية اختراع هلك حشريٍّ شديد جدًّا فباعوا بالفضل . وما من شك أن الأوبئة كان لها فضل الخطاب ، في المعارك الحربية ، أكثر من قواد الحرب أجمعين في تاريخ العالمين بأسره .

ذلك أن جيوش أمريكا غدت تقاتل في ميادين حربية كانت أهدأ أرجاء المسكونة تلوثاً بالحشرات والأدواء على حين كان الروتينون Rotenon قد انقطع وروده من جزائر الهند الشرقية كما ضؤل الوارد من عود القرح فلم يرَ علماء حشرات وزارة الزراعة الأمريكية وكيميائيوها الباحثون مناصراً من اختراع تركيب عشرات من المساحيق القاتلة للحشرات ثم تجربتها . وكان بين هاتيك المساحيق المهلكة التي أتيح لهم الحصول عليها خمسة في أواخر أكتوبر سنة ١٩٤٢ رطل واحد من صنع شركة جييجي المهلك للعث والسوس ، وذلك من

سويسرا عن طريق السفارة الأمريكية تحت بصر هتلر ورغم أنه .
 وجربوه أولاً في إبادة خنافس الفول المكسيكية فلم ينجح . ثم اختبروه في إهلاك
 حشرات أخـر فأحرزوا نتائج طيبة ، شجعت خبراءهم على مواصلة تجاربهم في أربعين مركزاً
 من مراكزهم الزراعية المنتشرة من موانئ الاطلنطي الى شواطئ المحيط الهادي ، فتمكنوا
 قبل حلول مايو سنة ١٩٤٣ من جعله هاووكاً فائقاً للقمل . وشرعت شركة ديبون في صناعته
 في مصنع جديد خاص أنشأته لأجله وأتقنت عليه نصف مليون دولار ، وذلك بعد حصولها
 على الترخيص اللازم من شركة جي جي .

ومن ذلك الحين قام الجيش الأمريكي بتوزيع هذا الهاوك توزيعاً مباشراً بطائراته في
 مدينتي نابولي والقاهرة وآفاق المحيط الهادي . وفرض على كل جندي حمل علبة تحتوي على
 أوقيتين منه ليعفر بها ثيابه قصد إبادة ما يعلق بها من القمل الكبير جميعه ، فيستمر مفعول
 الهاوك فيها ثلاثة أسابيع على الأقل . وكانت هذه الفترة كافية لقتل كل ما يتولد في خلالها
 من صغار القمل أيضاً .

وعند ما وصل مسحوق د . د . ت الى بلاد أفريقية في سنة ١٩٤٣ طفقت القوات
 الأمريكية تعفر به البدو وقاية لهم من وباء التيفوس . والبدو كثيرهم من الخلق عرضة لهجوم
 القمل ما داموا لا يستحمون . ولا عجب فقد بلغ عدد الذين أصيبوا بحمى التيفوس من
 أهالي الولايات الفرنسية في شمال أفريقية وحده في سنة ١٩٤٢ أكثر من مائة ألف شخص
 ولما قام الجنود الأمريكيون بتعفير فوج من البدو بالهاوك المشار اليه جعلوا يشعرون
 بالارتياح إذ أصبحوا غير مضطرين الى خمش أجسادهم « هرشها » لأول مرة في حياتهم .
 وبلغ من إغتياب أولئك الأعراب بنتيجة هذا المسحوق المبيد للقمل أنهم أشادوا به في
 أرجاء بلادهم ، فنال أحسن التقدير فأخذ القوم يهرعون طائعين مختارين زرافات ووحدانا
 الى مراكز التعفير والتطهير . فأما أولئك الآباء وأبنائهم ثم الأزواج وزوجاتهم . واشتد
 الاقبال عليها من النساء طامة حتى بلغ عدد الأعراب في أحد المراكز الخاصة بالتطهير ذات
 يوم ألف نفس . وكانوا يقفون صفوفاً طويلة حيث كان المرء يبصر كلاً منهم ما كفاً على
 حـك بشرته قبل تعفيره .

ومن طبائع القمل أن يعتمد مرتين في اليوم الى امتصاص الدماء من فريسته ، ليتغذى بها ، فاذا ظفر بأربه منها تمكن من نشر التيفوس في بيئته ، هذا اذا كان ملوثاً بجراثيم تلك الحلي من قبل . ومن دأب القمل أيضاً أن يحتشد حول آباط المرء وأربيته ، لأن ذبذبه الخبائث دافئان لئنان . ولذلك أعدّ الأمريكيون بما طبعوا عليه من الذكاء ، منافخ ذات أذرع هي خراطيم من المطاط تمتد على ظهر الشخص وفوق أكمام ملابسه وفي بنطلونه وسرواله . فكنت تراهم حيث يجتمعون يتكأ كل حولهم الأعراب طالبين المناعة من القمل وما رواه شاهد عيان في هذا الصدد أنه رأى فرقة إبادة القمل تحمل في بلدة أقيم فيها عرس بدوي غم فوقفت الفرقة الحفل ريثما تؤدي عملها ، حيث اصطف المدعوون جميعاً وعلى رأسهم العروسان وحينئذ أدير منفاخ الهالوك وصار يقذف ذلك المسحوق على أجسادهم وثيابهم حتى انتهت عملية التعفير ، فانقرط عقد الاجتماع ، وأخذ العريس عروسه مطهرة من القمل .

وتبين للخبراء الكيميائيين أن الهالوك الذي أخذ من أسرى الألمان ، كان أضعف مفعولاً من الهالوك الأمريكي ولذلك كان تطهير أولئك الأسرى من القمل أول واجب يقوم به الأمريكيون نحو أسراهم ويمتاز د. د. ت على غيره من الهواليك بدوام تأثيره زمناً أطول منها جميعاً . فساحيق عود القرح مثلاً المبيدة للحشرات تفقد خاصيتها بعد انقضاء يوم أو يومين . والروتينون يفقدها في ثلاثة أو أربعة أيام . على حين أن مركبات الزرنيخ والفلوريد انما تقتل الحشرات عند أكلها اياها لا غير . أما النيكوتين فيهلك كها بمجرد رشها عليها رشاً مباشراً . وهذا بينما د. د. ت يببدها في الحالتين كتيهما ، سواء أكلته أو لمسته فلا يضطر مستعمله الى رشه رشاً مباشراً على الحشرات التي يحتاج الى اهلا كها ، بل حسبه أن يختلط الذباب الملوث بهذا الهالوك بغيره من السليم فيقضي عليه .

ولهذا السبب يبب د. د. ت الحشرات الخبيثة ومنها سوس الفاكهة المعروف باسم السوس الشرقي الذي يلبثهم الخوخ . أما السموم المعدنية القديمة التي كانت مستعملة لمقاومته فلم تجد نفعاً لأن تلك الديدان عند ما تنقف ، لا تلبث أن تزحف نحو أعناق الفاكهة حيث تنقب

عجمها . أما السموم التي تؤثر بالسم في وقتية لأنه ينبغي وضعها في الميعاد الذي تنقف فيه الديدان حيث تشرع في الزحف . ولكن د . د . ت إذا رش في ذلك الموضع من قبل ، ظل منعوله ثابتاً حتى إذا نقف الدود ، اتى فيه حتفه . ومن أشد الحشرات فتكاً بالزراعة دودة التفاح وهي حشرة صغيرة مجنحة سنجابية اللون تعلو جلودها بقع ممر جميلة ويحبل لناظرها أنها مادمة الضرر ولكنها تلد دودة بيضاء هي التي كثيراً ما يراها الانسان في باطن التفاح حيث تفسدها فساداً يفضي الى كساد سوق التفاح فتبلغ خسائر زراعته ملايين الجنيهات سنوياً .

وذلك أن فراشة التفاح تبيض بيضها على أزهاره فيفقس البيض أساريع . وعند ما تتكون التفاح في قاعدة زهرتها تلتهم هاتيك الأساريع قلبها ، فترى التفاح الذي تسطو عليه الأساريع يتساقط من أشجاره قبل نضجه بزمان طويل . ومتى نقبت قلب التفاح غادرتها وجعلت تنسج حول نفسها شرائق من خيوط حريرية دقيقة تتعلق بها تحت لحاء أشجار التفاح . ثم تظل في هذا الدور من أطوار حياتها وهو طور اليرقة نائمة مستكنة حتى تتحول فراشاً . ويشاهد الطائر المسمى نقار الخشب يلتهم أفواجا من هذا الفراش . وعندما يصير اليراز فراشاً ينطلق من شرائقه طائراً الى أزهار التفاح ليبيض عليها استعداداً للفقس التالي . ويبدأ ظهور الفراش في يونيو . ولابد أن الأساريع يرش زراعوا الفواكه أشجارهم بمحلول أخضر باريكس أو زرنيدات الرصاص وذلك عندما تبدأ الأزهار في التساقط . وقد حيرت هذه الحشرة زراع التفاح في الأقاليم الغربية من الولايات المتحدة الأمريكية . فيضطرون كل سنة الى رش بساقيهم من خمس الى تسع مرات بالمساحيق القتالة للحشرات وقايةً لمحصولاتهم من غوائلها . ولا يخفى ما يتطلبه ذلك الرش من فاح النفقات . وهذا يرجع الى كون زرنيدات الرصاص التي تستعمل لذلك المقصد تزول عندما يتساقط عليها الماء . وأما د . د . ت فهو على النقيض من ذلك يلتصق بها فتصبح حادة الزراع الى رشها به أقل منها بسواه . ود . د . ت يقتل النحل كما يقتك بغيره من الحشرات ولذلك يفرض على مستعمله اتخاذ الوسائل التي تفضي الى الاتقاء به واجتناب ضرره



مكتبة المقتطف

الملك

لمحمد حسن اسماعيل — ١٩٠ ص من الحجم المتوسط — شركة فن الطباعة

ليس أحبّ الى المصريّ من اسم « الفاروق » ، وليس أقرب الى فؤاد كل من روى ظمأه بماء النيل من الملك الجليل الجالس على عرش مصر .

فقد وضع الفاروق — حفظه الله — مذاعتلى أريكة العرش خطة لنفسه لا يزال يعمل جاهداً على تحقيقها . خلالته يروم أن يسعد شعبه ليسعد هو ، ويبغى أن يرفع مستواه المعيشي والصحي لتقرّ عيناه ويبشّ وجهه . إن الملك أعلن الحرب على أعداء الوطن : تلك الجهة الفاشية ، وذلك الفقر الضارب أطنابه ، وهذا السقم الذي يتسلل الى الأبدان فيضعفها . شهر جلالته الحرب وحرص على تشجيع كل من يسهم في مكافحة تلك الأدواء الثلاثة رغبة منه في توفير الرفاهية لشعبه وتمكينه من أن يصبح في مجبوحة ساذجة .

تلك المآثر الجليلة الحميدة التي يزجها الملك الى شعبه موصولة غير متقطعة ، وهذه الرغبة الأكيدة في الأخذ بناصرة « الفلاح » رمز المصري ، وجدت صدقاً من أصدائها الكثر في شاعر رقيق العاطفة مرهف الحسّ ورد على العاصمة من الريف وفيه ميل وحب عظيم للريف وأهله ، وعطف على أهليه من الفقراء والمعوزين ، فلم يسع الشاعر إلا أن يترجم تلك الأصداء في قريض ينظمه ، وشعر ينشده . ومن تلك المنظومات يتألف ديوان « الملك » الذي أخرج الاستاذ محمود حسن اسماعيل أخيراً .

وهل أجمل في التعبير عن مكنونات هذه العاطفة المتأججة من أن يقول محمود في إهداء كتابه للملك :

« من القرية التي خضت ظلامها وأسقامها حتى طرقت باب الكوخ بيمينك لتطمئن على حياة شعبك ، فشدت ساعد الفلاح والعامل ، ورفأت دمة البأس والسقيم ، ونهضت غبار

الدلّ والمسكنة عن هؤلاء الذين طرحتهم عبودية الفقر والجهالة في كهوف النسيان ...
« وهل أوقع في النفس من أن ينهد الشاعر :

كم بأئس كنت سلواناً لسكربتته لولاك من دمه يروى ويقتات
وكم شقيّ الثرى عاري الأديم مضت رفرافة منك تحميه السعادات
وكم خريف على الأكوخ أهلكه نذاك فهو رياحين وإيمكات
عطف وبر وإحسان ومرحمة يا قوم من هنا تزكو العبادات »

ولو رغبتنا في الاستدلال بكل ما سجله الشاعر عن برّ المليك بالمعوزين والمكروبين ،
لأحوجنا نقل معظم ما اشتمل عليه الديوان . ولكن يكفي أن نجم الإشارة فنقول إن
الشاعر محموداً أخذ بكل عملٍ خيري نهض به الفاروق بوحى من عاطفته الواعية الرحيمة ،
فسجل رعاية جلالته لمشروع مكافحة الحفاء ومشروع يوم المستشفيات وزيارته لمديرتي قنا
وأسوان لمواساة المرضى وتوزيع المؤن عليهم واتقائهم من وبيلات الداء . وإذا كانت آلة
التصوير تنجح في تصوير تلك المآثر الملكية فإن الشعر يفشلها في تصوير الدوافع النبيلة
التي أوحى إلى سيد البلاد بأن يعنى بأحوال شعبه ، تلك الدوافع التي لم يستطع المليك أن
يكتبها أو يخفيها .

والشاعر لم يكذب على المليك فاروقاً يرعى العروبة ويعتز بها ويتصدّر الداعين إليها حتى
سارع إلى نظم انطباعات ذهنه بلغة الشعر التي يجيدها ، فسجل اجتماع رضوى بين أهلي
مصر والجزيرة العربية قائلاً :

عودي واحكي لي عن نجوى ممعتها الريح على « رضوى »
لجراح الشرق غدت سلوى وحديثاً في الدنيا يروى
عن أول ضيف للعرب
لقيته جباههم كني
مجهول الزورة مرتقب

فجأ الصحراء بميعاد ما كان بخاطرهما يُطوى
فاروق ! وأنت على العرب أحنى من قلب أخ وأب
جمعت هواهم في سبب ووصلت به خطو الشهب
ولقد وحدنا في البلوى

عهد كالصخرة أو أقوى

تطوى الأعمار ولا يطوى

وتمر جميع الآباد وصداه يمر على الحقب

وسجل عطف الفاروق على فلسطين المجاهدة الآبية ومناصرته لها في شدائدتها وكفاحها

للحصول على أمنياتها فقال :

هذي فلسطين تغلي في أرجائها كأنما قدّفت في جوف بركان

تلقت القدس فيها شاكياً فحضت أنوار ملكك في عطف وتحنان

ترعى وترحم والأقدار شاهدة وفي يمينك الاسلام سينهان

وحيا الشاعر ملكي مصر والعراق لدى التقائهما من عامين وحمد للبنان الشقيق أرزته

التي غرست في ساحة الفاروق رمزاً لعرى الصداقة الوثيقة والمودة الأكيدة بين القطرين .

ولم ينس الشاعر أن يسجل لجلالة الملك برّه بشرط النيل الأعلى ، فتحين مناسبة افتتاح

خط التلغون بين القاهرة والخرطوم وتحادث الملك مع حاكم السودان العام ، ونظم قصيدة

من عيون الشعر عنوانها «أصغى لك السودان» قال فيها :

بالسفنح والقيعان

والدوح والأغصان

والموج والشطآن

أصغى لك السودان

واستوقف ناظري في ديوان «الملك» أن محمود حسن اسماعيل يكثر من مطالعة الكتب

المقدّسة دون الاختصار على واحد منها ، ويستشهد بها في كثير من شعره ، وهو في هذا

شبيه بالشاعر أحمد شوقي بك . ومن ذلك على سبيل المثال قوله :

كل الطبيعة في الشطين زاصرة وأنت «داودها» : لم تروك السير

وقوله : قالوا : روى الموت بلواهم ا فقلت لهم ركاب «عيسى» يرُدُّ الموت كذّابا

وقوله : بزور كنت «عيساها» وبى حذر لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا

وقوله : من أرضهم شعت رسالة «أحمد» بالنور لا بالسيف عنه تناضل

وقوله : ونابى «داود» من قديم يرُنُّ في سفحه صداه

وقوله : ورددتك «مزاهيرآ» قوافلها كأنما أنت «موسى» وهي «توراة»

والحق إن المحاولة التي قام بها الأستاذ محمود حسن اسماعيل في تدوين شعور المواطن المخلص إزاء الملك الجليل ، محاولة تستدعي الإعجاب ، لأنه نظم من بعض نفسه قلادة للفاروق ، ونسج من عواطفه طرزاً فاخرة ، « وسكب من دمه غناءً يفيض للدينيا محب الملك والولاء له » . وليس هذا الشعور الصادق شعور مصري فحسب ، بل شعور كل عربي فجعاًته مأثر الفاروق واستحوذت على إعجابه ، واغتصبت منه الحب أكيداً .

وربيع فلسطين

الازهر بين الماضي والحاضر

- تفضلت مجلة « المقتطف » الغراء الزهراء فنشرت في عددها الصادر في شهر ابريل من سنة ١٩٤٦م ملحقاً أدبيّاً تاريخيّاً عنوانه « الازهر بين الماضي والحاضر » وقد كتبه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور علي رجب أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين الإسلامي بالجامعة الأزهرية ، وبذلك أمدت مجلة المقتطف إلى الازهر والازهرين ، بل إلى الإسلام والمسلمين يداً بيضاء ، وجيلاً مشكوراً مذكوراً ، لأنها مهدت بنشر تلك الدراسة الواسعة عن الازهر في ماضيه وحاضره السبيل لدراسة أحوال الازهر ومعرفة ما يتعلق به وما يرجى منه وما يعلق عليه من آمال ، أمام أولئك الذين لم يتصلوا بالازهر عن قرب ، ولم يعرفوا من أموره وأسراره شيئاً ذا بال ، ويزيد هذا العمل جلالة وقدراً حينما نذكر أن قراء المقتطف الغراء جبهة كريمة من الأدباء والعلماء والمثقفين ، فهذا بلا شك نصر كبير للازهر ، وفائدة كبرى لنشر صفحات مطويات من تاريخ هذا المعهد العتيق

ولقد تحدثت فضيلة الأستاذ منصور علي رجب حديثاً حسناً محكماً عن الازهر وتاريخه المادي والعلمي والتعليمي والديني ، وذكر أشهر الكتب التي تدرس في الازهر ، وتحدثت عن مجلس الازهر الأعلى ، وعن المعاهد الدينية ، وعن شيوخ الازهر وطلبته وميزانيته وخريجيه ومكتبته ، والاتجاه الحديث للازهر ، وكيف ينبغي أن يكون ، تحدثت عن هذا وعن غيره حديثاً جذاباً ، في عبارة واضحة وعرض أخذ ، فله من أبنائه وإخوانه الازهرين شباباً وشيوخاً أخلص الحمد والشكر على ما قدم من صنيع خالص لوجه الله ووجه الازهر الشريف . إلا أن لي بعض ملاحظات على هذا البحث النفيس أرجو أن يتقبلها الأستاذ الجليل بصدوره

الرجب ، ولينق أنني لا أريد بهذه الملاحظات طعناً أو نقداً ، وإنما هي تعليقات سريعة بدت لي في أثناء المطالعة فرأيت أن أنشرها في المقتطف حيث نشر بحثه لتكون كخاتمة لما بدأ ، إن أريد إلاّ الإصلاح ما استعطت ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

١ — لقد أعجبت كثيراً بتقديم الأستاذ الكبير اسماعيل مظهر رئيس تحرير مجلة المقتطف التي قدم بها هذا البحث ، إذ كان صنيعه مشكوراً مأجوراً حينما أثبت هذه الشوقية الرائعة الخالدة التي أرسلها أمير الشعراء لترددها السنة الدنيا ويكررها فم الزمان ، وكأن الأستاذ اسماعيل قد أراد أن يستدرك في لطف ورقة على الأستاذ منصور ، إذ ما كان يجوز له بحال من الأحوال أن ينسى في مقام الحديث المفصل عن الأزهر هذا القصيد المجيد ، فقصيد شوقي في الأزهر قلادة فريدة يتيمة لن يزيدها كراً الليالي وصرّ الأيام إلاّ ذيوماً وانتشاراً ، وكيف ينسى الأزهريون قصيد شوقي في جامعتهم الكبرى وهو يقول :

واخشع مليّاً واقض حقّ أئمة طلّعوا به زُهرّاً ، وماجوا أبحراً
كانوا أجلّ من الملوك جلالةً وأعز سلطاناً ، وأنغم مظهرها
ويقول مخاطباً الأزهر الشريف :

يامعهداً أفنى القرون جداره وطوى الليالي ركنه والأعصرا
ومشى على يابس المشارق نورُه وأضاء أبيض لجها والأحمرها
ويقول مخاطباً جموع الشباب الأزهريين :

يافتية المعمور سار حديثكم ندّاً بأفواه الركاب وعنبرها

هزّوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم لعمر الله أعصاب القرى

٢ — لاحظت أن الكاتب قد ذكر في الصفحة الثامنة سلسلة المراجع والمصادر التي استقى منها بحثه ، وألاحظ أن بعض هذه المصادر لم يكن هناك داعٍ للتطويل بذكره ، إذ أنه لم يستفد منه إلاّ التافه اليسير ، وإذا كان المؤلف حريصاً على التدقيق في هذا فكان الأولى أن يذكر كل مرجع عند الاستفادة منه ، ولو في هوامش الصفحات ، حتى يكون القارئ على علم بما نقله الأستاذ من هذه المصادر .

٣ - نقل المؤلف في صفحة (٢٣) ذلك المرسوم الملكي الذي أصدره الملك الظاهر برقوق والذي كان يقضي « بأن من مات من مجاوري الأزهر من غير وارث شرعي، وترك موجوداً فإنه يأخذه المجاورون بالجامع ». وقد كنت أتمنى أن يقف المؤلف أمام هذا المرسوم وقفة طويلة ليستخلص منه عبرة وتذكرة يذكر بها إخوانه الأزهريين، علّ ذلك يكون باعثاً لجمع أشـتاتهم وتوحيد صفوفهم، وحبذا لو كان المؤلف قرن هذا بذكر العظاات الإسلامية التي تتصل بهذا الموضوع كحدث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فانه مما يصدع القلب ويرمض النفس أن تدب عقارب الشقاق والاختلاف بين صفوف الأزهريين وم الأمانل الأفاضل، فيكون لها خطير الآثار . . .

٤ - في صفحتي (٢٥ و ٢٦) تحدث المؤلف عن الأروقة في الأزهر، وذكر أسماء كثيرة لها، بعضها معروف للناس وبعضها مجهول، وقد كنت أحب أن يبين الأستاذ ما بقي من هذه الأروقة الى الآن، وما زال منها أو اندثر أو تحول، وحبذا لو أن الكاتب بنى حديثه عن هذه الأروقة على مشاهدة شخصية لها يقوم بها حتى يتعرف مواضعها وهيئاتها، فيكون حديثه رؤية وبيان.

٥ - في صفحة (٢٩) ذكر الأستاذ المؤلف طرفاً من ذكر الشيخ الجليل والمجاهد الإسلامي العظيم والداعية الصادق عز الدين بن عبد السلام، ولكنه لم يذكر إلا شيئاً قليلاً ولعمزّ الدين مواقف كثيرة مشهورة، حبذا لو عطر المؤلف بها بحنه النفيس، وخصوصاً ما يروى عن عزّ الدين في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الحق، وصدق الجهاد للباطل !.

٦ - ذكر المؤلف في صفحة (٤٦) وما بعدها الكتب التي تدرس في الأزهر، ولم يبين لنا هل يريد بذلك الكتب التي كانت تدرس في الأزهر قديماً، أو التي لا تزال تدرس الى اليوم، وقد أوقعني ذلك في حيرة كبيرة، لأن المؤلف قد ذكر كتباً ليست موجودة الآن، أو لم توجد، ونسي كتباً هي تدرس الآن، فمثلاً لم يذكر في كتب النحو « أوضح المسالك » لابن هشام مع انه يدرس الآن في القسم الثانوي، وفي الصرف لم يذكر كتاب « هذا العرف » ولا المذكرات الأخرى التي وضعها الأستاذة مثل « دروس التصريف »

للشيخ محيي الدين و « تصريف الأفعال » للشيخ عنتر و « تصريف الأسماء » للشيخ الطنطاوي وغيرها . وفي علوم البلاغة لم يذكر كتابي « زهر الربيع » و « حسن الصنيع » ، وفي التفسير لم يذكر تفسير « الكشف » مع أنه مقرر في كلية اللغة العربية حرصها الله معقلاً لغة القرآن وأدب العرب ، وفي الحديث لم يذكر « صفوة صحيح البخاري » ، وفي الفقه لم يذكر كتابي « الاختيار » و « الهداية » . وقد ذكر في فقه الحنفية كتاب « كنز الدقائق » وهو غير موجود ، وشرح الحصكفي وهو غير موجود ، وكذلك كتاب « غرر الأحكام » . والكتب الأزهرية في الواقع باب واسع يحتاج الى بحوث وبحوث ، وجبذا لو فكرت مشيخة الأزهر الجلييلة في إقامة معرض للكتب الأزهرية على غرار « معرض الكتاب العربي » الذي أقامته وزارة المعارف في شهر يونيه سنة ١٩٤٦ م ليستطيع هذا المعرض أن يقدم للناس صورة مفصلة عن الكتب الأزهرية وموضوعاتها وأشكالها وتطورها وما يتصل بها .

٧ - في صفحة (٥٥) قال المؤلف ما نصه : « بعد ذلك نعرض الأدوار التي مرت بالأزهر حتى وصل الى ما هو عليه الآن من نمو بفضل البذرة التي بذرها السيد جمال الدين الأفغاني ، وتعهدها من بعده تلميذه الامام الشيخ محمد عبده ، ويقوم الآن على حراستها وإتمامها تلميذه المخلص الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق » .. !!
وأي المراغي إذن أيها الأزهرى المنصف ؟ .. ولماذا لم تذكر اسمه في هذه السلسلة ، وهو سابق على شيخ الأزهر الحالي ؟ .. الواقع الذي لا يجادل فيه أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام المراغي - سقى جذته الغيث - قد جاهد جهاداً كبيراً في اصلاح الأزهر ، فهو الذي سهر على السكليات الأزهرية ، وهو الذي بعث البعث ، وهو الذي ضاعف الميزانية ، وهو صاحب الدروس الدينية ، وهو مصلح الوعظ والارشاد ، وهو منظم البعث الشرقية الى الأزهر . ولو كان المجال مجال الحديث عن المراغي لأفضت بتفصيل في تعداد مآثره ومفاخره ، ولكنني أكتفي بأن أعتب عليك لأنك لم تخصه بمثل ما خصصت به مثله أو من هو دونه بالحديث والتقدير :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى إني أخاف عليكم أن تلتقوا !

٨ - في صفحة (٥٦) بدأ الحديث عن مراحل التعليم في الأزهر الشريف ، وتحدثت عن علوم القسم الابتدائي ، ولكنه لم يذكر ما يشترط في الطالب لقبوله في هذا القسم مثل حفظ القرآن الكريم وتجويده ، ومعرفة القراءة والكتابة ، والاحاطة بقواعد الحساب الأولية ، وتجويد الخط ، والاملاء .

وقد ذكر في هذه الصفحة نفسها العلوم التي تدرس في كلية اللغة العربية فترك منها المطالعة والمحفوظات والانشاء .

وذكر العلوم التي تدرس في كلية الشريعة فذكر بينها « آداب اللغة العربية وعلوم البلاغة » وهي غير موجودة الآن ، وفعل مثل ذلك أيضاً عند ذكر العلوم التي تدرس في كلية أصول الدين .

٩ - في صفحة (٥٧) تحدثت عن الشهادة الثانوية الأزهرية فقال إنها « تمنح لمن أتموا دراسة القسم الثانوي ، وتحوّل صاحبها الاندماج في الكليات » وهو يقصد الكليات الأزهرية . والواقع أن هذه الشهادة لا تحوّل صاحبها هذا فقط ، بل تحوله أيضاً الدخول في بعض كليات الجامعة القوادية ككلية الآداب وكلية دار العلوم ، أو الدخول في مدرسة الصيارف ! .

١٠ - في صفحة (٦٤) تحدثت عن الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الأزهر المتوفى سنة ١١٧١ هـ . ثم تحدثت بعد ذلك عن ديوانه المليء بالغزليات والنسيب ، ثم أورد له تلك القصيدة التي تسيل رقة وعذوبة ، والتي ذاعت على ألسنة المغنين ، ومطلعها :

وحقك أنت المني والطلب وأنت المراد وأنت الأرب

وكنيت أتمنى أن يقف الأستاذ المؤلف أمام هذه القصيدة الغزلية الرقيقة التي ينظمها شيخ الأزهر وإمام المسلمين ، ثم يستخلص من هذا درساً يعلم فيه الأزهرين أن الوفا لا ينافي الشعر ، وأن الأزهرية لا تناقض الأدب ، وأنه من الواجب على ولاية الأمر في الأزهر الشريف أن يعنوا كل العناية بالناحية الأدبية في الأزهر ، وذلك بتشجيع الأدباء ومساعدة المؤلفين ونشر الكتب الثقافية وتنظيم المحاضرات وإصدار الجلات في كل كلية

وكل مههد . فرأس مال الأزهرى فى الحياة هو لسانه وقلمه وان يسلم اللسان ولن يستقيم القلم إلا بالأدب .

١١ - فى صفحة (٦٦) ذكر من مشايخ الأزهر الشيخ أحمد العروسى ، وقال إنه من « منية عروس » وصحتها « منيل عروس » وهى بلد أخى الأستاذ زكى سويلم خريج كلية اللغة العربية حرصها الله معقلاً للغة القرآن وأدب العرب .

١٢ - ترجم المؤلف فى صفحة (٦٩) للمغفور له الامام المراغى ترجمة وجيزة لا تليق بالمراغى العظيم الذى لم يخف المصاب فيه بعد ، وخاصة إذا قارنا هذه الترجمة بترجمة المؤلف للأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الحالى ، فقد أفاض فى الأخيرة ، على الرغم من أن ذكر الشيخ مصطفى قد تردد خلال الكتاب أكثر من عشر مرات ، تارةً بإيجاز وتارةً بإصهاب !

١٣ - ألاحظ أيضاً أن المؤلف حينما تحدث عن مكتبة الأزهر ومحتوياتها لم يتحدث عما تحتاج هذه المكتبة من ترتيب وتنظيم وتيسير وبناء جديد ، حتى يفتنع بها الناس ، وكذلك لم يذكر عند حديثه عن الكليات أما كن هذه الكليات حتى يعرفها من لم يشاهدها ، وكذلك لم يتحدث بافاضة عن المدينة الأزهرية وما يجب أن تحتوى عليه من معاهد وملاعب ومساركن وقاعات ومرافق .

١٤ - فى صفحة (٨٠) قال المؤلف : « وهنا لا أقصد أن يحرم على الطلاب الاشتغال بالسياسة فهذا حق من حقوقهم ... » . وكان الأجدر بالأستاذ أن يفصل هنا معنى السياسة التى يريد بها ، لأننا فى الواقع نختلف كثيراً حول تحديد معنى السياسة ، فان كان المراد بها هو خدمة الوطن والعمل لوجهه ، وإجابة داعيه حين يجد الجد وتتأزم الأمور فهذا حق بل هذا واجب مقدس على كل وطني ، وإن كان المراد بها هو المظاهرات والتخطيط والحزبية والتفرق والتشدد بالألقاظ والخروج عن الحدود ومجاوزة الاختصاص فهذا شر يجب التعوذ منه ، وهذا هو الذى دعا الشيخ محمد عبده الى أن يلعب السياسة والساسة ومادة ساس يسوس فهو سائس ومسوس الخ . .

١٥ - هذا وقد ختم المؤلف بحقه بالأمل التى يرجو أن تنفق ، ولا تلهت أنى

يجب اجرائها كي ينظم الأمر في الأزهر ، فهل يسمح لي الأستاذ المفضل أن أضيف الى ما ذكر أنه يجب أن ينظم التأمين الصحي وتنظم الوحدات الصحية العلاجية في الأزهر ، ويجب أن تقدم وجبة الغذاء للطلبة حتى تضمن لهم غذاءً صحيحاً ، ويجب أن تصرف للطلبة جميع الكتب والأدوات التي يحتاجون اليها كل عام ، حتى لا يحدث الاضطراب أو الاهمال في الواجبات المدرسية ، ويجب أن يكون لكل كلية مجلة ، بل لكل معهد ديني مجلة ، ولكل كلية نادر أدبي اجتماعي لائق ، ويجب أن ينظم الاتصال العلمي والثقافي بين الأزهر ، وجامعتي فؤاد وفاروق ، ويجب أن يكون لكل كلية ولكل معهد مسجد كبير تقام فيه الصلوات والجمع ، ويخطب فيه الأساتذة والطلاب ليمهروا فنون الوعظ والإرشاد ، ويجب أن يعنى داخل الكليات والمعاهد بالعبادات الدينية اليومية ، والمظاهر الإسلامية والتقاليد العربية الكريمة ، ويجب أن تحد من حرية الطالب فقد جعلته الظروف الأخيرة أشبه بمستبد لا يعرف له رادعاً أو واجباً ، وبالجملة يجب على الأزهر أن يعنى باستكمال المظاهر الجامعية ، دون اغفال الإصلاح المعنوي حتى يستطيع الأزهر أن يسير على طريق لاجب واضح ، فيؤدي رسالته ، ويشارك في توجيه العالم .

أما بعد ، فأكرر شكر الأستاذ الجليل منصور علي رجب على بحثه ، إذ هو أول أزهرى فيما أعلم حاول التاريخ لجامعته الكبرى ، وأرجو أن يسارع إخوانه أساتذة الأزهر بالسير على منواله والافتداء به فنرى منهم من يكتبون عن معاهدنا وكتبنا وشيوخنا وعبوبنا وحسناتنا وماضينا ومستقبلنا ، كما أرجو ألا يقتصر الأستاذ منصور على ما قدم ، فله من قلمه السيل وأسلوبه الجميل وعرضه الشائق ، وفكره الناضج ، ما يجعله أقدر من غيره على سبق والتبريز في هذا المضمار !!

كما أكرر شكري للمقتطف الغراء ، ولحررها الكريم ، ولأمرتها النبيلة ، فقد يسروا لأحد أبناء الأزهر أن يقول في معهده كلمة الانصاف في زمن قل فيه المنصفون !!

أصمحر الشمر بامسى

المدرس بالأزهر الشريف

نابليون

تأليف اميل لودفيج : ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي : الجزء الاول ٣٥٢ صفحة
من القطع المتوسط : القاهرة ١٩٤٦

أول ما يمتاز به أسلوب اميل لودفيج في التراجم انه أسلوب حديث خالف به ذلك المؤلف النابه أصاليب كتساب التراجم منذ أن بدأ صموئيل جونسون يكتب تراجم العظماء في إنجلترا في القرن الثامن عشر . قيل ، وقيل بحق ، ان جونسون أعظم من ترجم عن حياة العظماء من كتساب العصر الحديث . وتراجمه في الشعراء من عيون الأدب العالمي . أما الفارق بينه وبين لودفيج وهو أعظم كتساب التراجم اطلاقاً في عصرنا الحديث ان جونسون يستمد أسلوبه من العقلية الانجليزية ، وهي عقلية واقعية . أما لودفيج فيستمد أسلوبه من العقلية الألمانية ، وهي عقلية مثالية خيالية .

الابتداءات التي يبدأ بها لودفيج كتبه نامة عن ذلك . فاذا نظرت في كتابه عن جوته وكتابه عن المسيح « ابن الانسان » او كتابه عن نابليون أنست فيه أثر الخيالية البعيدة الممتدة الآفاق البعيدة الأغوار . بدأ كتابه عن نابليون بفتاة مترملة ترضع طفلها وفي أذنيها وقر أصوات كأنها هزيم الرعد : أ تلك أصوات المدافع لا تزال تتكلم باللسن النيران حتى بعد أن غابت الشمس ، أم تلك هي العاصفة ، لسان الأبد يتكلم ؟

أما ذلك الخيال الرائع فهو طريق لودفيج الى تصوير الحقائق . فليست أصوات المدافع بعد مغيب الشمس ولا العاصفة بأشياء متخيلة ، وانما هي وقائع من صميم السيرة التي يكتبها فهي إذن ليست خيالاً صرفاً وانما هي اداته الى طبع صورة تامة في ذهن قارئه . ذلك هو السر في عبقرية لودفيج .

كتبت عن لودفيج في العربية بعض أقوال ، وخلصت كتابه « ابن الانسان » في « العصور » ، ولكن لم ينقل من كتبه شيء الى العربية بمثل العناية التي بذلها الاستاذ مترجم هذا الكتاب . فالعناية بالمؤلف وبالكتاب ظاهرة جليلة في جميع صفحاته . وهي أظهر ما يكون في أسلوب

الآداء وفي العناية بتفهم العبارات . فان الآفاق التي يسبح فيها لوديثيج بعض الاحيان ،
ترده عاجزاً بعض الشيء عن التعبير مما يرى فيها بلغة سهلة ، فيكتنفه الغموض . فاذا نقلت
عباراته تلك كما خطها قلبه الى لغة أخرى خرجت شوهاء . أما عناية الأستاذ الدصوقي
بأن يجلو ما صادفه في الكتاب من أمثال هذه العبارات ، فأمر ينبغي أن يقابل بالشكر من كل
عربي يُعني بأن تكون الأمانة أول شرط النقل . فان المترجم الذي يقصر الترجمة على نقل
الالفاظ دون المعاني ، أبعد ما يكون عن أمانة النقل وعن الفهم معاً .

كذلك قد مضى أكثرنا يعتقدون أن الترجمات التي ينقلها المترجمون الأوروبيون عن
غيرهم من الأمم ، هي من الكمال والضبط بحيث لا يتطرق اليهما الخطأ أو سوء الفهم أو
الاهمال . غير أن المؤلف قد خالف هذه القاعدة فراجع الاصل على بعض الترجمات فوضح له
أن بعضها أهمل نقل عبارات برمتها وبعضها أساء الفهم . وعندي ان ما قام به الأستاذ الفاضل
مترجم هذا الكتاب من العناية بهذه المقابلات أمر يستحق عليه كل مدح وثناء . وأول
شيء نستخلصه من عنائه هذا انه ترجم الكتاب بروح اكاديمية بعيدة عما يزين لكثير من
المترجمين حب العجلة واكتساب شهرة التأليف على حساب العلم والآداب .

جملة القول ان هذا الكتاب فريد في بابهِ ، نسيج وحده في الترجمة ، وصورة كاملة لما
ينبغي أن تكون عليه الترجمة والمترجمون .

م . ا

المرأة في ظل الديموقراطية

(تابع المنشور على الصفحة ١١٢)

ونقل الينا ان « كاترينا سفورزا » قد أنشدت أبياتاً من الشعر نظمها باللاتينية ترحيباً
بالكردينال « رياريو » عند ما نزل ببلاط أبيها ، وهي في العاشرة ، وعن « إيزابلا
جونزاجا » انها كانت تغني أشعار « فرجيل » ، موقعةً بأناملها على القيثارة . وعن « إيزابلا
دامس » انها كانت تقرأ فرجيل وكيرون وهي ما تزال يافعة ، وانها والت درس الآداب ،

حتى بعد أن أصبحت مركيزة « مانتوا ». ولا شك في أن ذلك العصر ، عصر النهضة ، قد طبع بطابع الأدب العالي ، حتى لقد اعتقد أهل الطبقات العليا فيه ، أن تعلم الآداب القديمة من حاجات الحياة الأولى ، سواء للرجل أم للمرأة ، وأنه يزيد المرأة جمالاً وفتنة . فلم يكن هناك من فارق بين تربية الفتى وتربية الفتاة .

نقتصر على هذه الصورة التي قلناها عن عصر النهضة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي ، فنقضي بأن تعليم المرأة قد انحدر وفسد ، والرأي فيها اضمحل وأصف ، من بعد ذلك . وشاهدنا على ذلك « روسو » قبيل الثورة الفرنسية . ولكننا اليوم عند رأي « كاستيلوني » الذي قال في المرأة الكاملة :

« إن كل الإيحاء إنما يأتي من طريقها ؟ وأنه من خصائص المرأة المثقفة أن تلهب في الرجل نار الشجاعة ، وتبعث في نفسه الأمل في حومة الوعى ، والنهى في قاعة المشورة ، والإلهام في عالم الفن ، والضرب في رحاب المعرفة ، والسمو في ميدان الفضيلة ، والتقوى في مفاوز الدين . »

لقد قام في أثناء الثورة الفرنسية بعض الذين حاولوا أن ينادوا بحقوق المرأة السياسية . ومنهم رجال آمنوا بأن إنكار ذلك الحق على المرأة ، فيه منافاة للعدل وانتهاك للفكرة الأساسية في الحرية ، وأنها ملك مشاع لا بناء آدم وحواء ، وإنما حق أبدي أزلي لا يسلب ولا يلغى ، بل إنه حق ملازم للحياة الإنسانية نفسها ، وإن الاعتداء عليه ، مساوياً للاعتداء على الحياة . ولكن بالرغم من كل هذا كان نصيب كل حركة فكرية اتجهت هذا الاتجاه ، القمع السريع والكبت العاجل بشدة وعنف . ومثال ذلك : أن حكومة الثورة قد حلت جميع الميئات التي أقامها النساء . فكل النوادي والجمعيات والهيئات السياسية التي أسسها النساء في فرنسا قد حلت وحظر بقاؤها ، وحرّم النساء شهود اجتماع الهيئة الثورية ، حتى لقد هددهن « شوفيت » أحد رجال الثورة ، بأن تدخلن في السياسة ، تجاوزن لحقوق جنسهن ، واعتداء على الشرع الطبيعي . هنا نستطيع أن نقارن بين حال المرأة ومركزها الاجتماعي في طبقات المجتمع العليا في عصر النهضة الأوروبية ، وحالها في عصر الثورة الفرنسية ، لنحكم أيهما كان عصر النور والعرفان .

فهرس الجزء الثالث

من المجلد التاسع بعد المائة

المرأة في ظل الديموقراطية : اسماعيل مظهر	١٠٥
نور الدين الشهيد : ناجي الطنطاوي	١١٣
كيف تحفظ صحتك : الصيف : فهمي عطا الله	١٢٤
قبر انخوس آمن : نحر الدين العبيدي	١٢٥
١ - حقيقة الضويئات : فؤاد جميعان	١٣٠
٢ - عود على بدء : الضويئات : جريس الشرايحة	١٣٥
النسيم (قصيدة) : شاعر البراري	١٤٠
نظرية النمو الذاتي ونهضة احياء العلوم في غربي اوربا . ع . ش	١٤١
فشل دعاة الانقلاب : محمود المنجوري	١٤٥
د . د . ت الهالوك الحديث للحشرات : عوض جندي	١٥٠
مكتبة المقتطف : الملك : وديع فلسطين . الازهر بين الماضي والحاضر :	١٥٥
احمد الشرباصي . نابليون : ا . م	

لحق مقتطف اغسطس

سنة ١٩٤٦

٤٠ - ١ الدعاية قديماً وحديثاً : سليم تاوؤروس الاسيوطي